

## مناهج علماء الأندلس في العقائد (توحيد الأسماء والصفات)

د/ خالد بن ناصر آل حسين

الأستاذ المشارك قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض  
[knalhosin@imamu.edu.sa](mailto:knalhosin@imamu.edu.sa)

تاريخ نشر البحث: 2024/4/24

تاريخ استلام البحث: 20224/1/9

### الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فمن خلال اطلاعي على كتب فقه وتاريخ وأدب وتفسير علماء الأندلس وجدت بحراً زاخراً - في ذلك البلد المفقود - بأنواع من الدرر في شتى العلوم الشرعية وغيرها. ولقد اجتهدت أن أجمع كل ما يتعلق بأمور العقائد والفرق؛ فاجتمع لي قدر كبير من المعلومات القيمة في هذا الباب من الكتب القديمة المخطوطة والمطبوعة، مع العلم أنه كتب في بعض رجالات الأندلس من الفقهاء والعلماء رسائل علمية قيمة منها: رسالة في ابن عطية من جامعة الإمام، وابن حزم من أم القرى، والشاطبي من الجامعة الإسلامية، والقرطبي ابن فرح من جامعة الإمام، وابن العربي من جامعة الملك سعود، وابن عبد البر من الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام، ولكنها تناولت بعض هؤلاء الأفاضل بدراسة كل فرد على حدة في كل كتاب منها، وهو جهد كبير مشكور من هؤلاء الباحثين، ومع ذلك فلا يوجد من العناية والكتابة عن علماء الأندلس بالقدر الذي يبين جهدهم على حقيقته، إذ الدراسات في هذا الباب لا تزال محدودة جداً، ولذا أشرت أن أسهم في كشف هذا الجزء المهم من هذا التاريخ الحافل بأنواع العلوم وبمجموعات كبيرة من العلماء الأفاضل، لا سيما ما يتعلق بعقائد أهل بلاد الأندلس. ومما لا شك فيه أن الأندلسيين أبدعوا في شتى أنواع العلوم، وتأثروا إلى حد كبير بأهل المشرق من الحجازيين والشاميين والعراقيين وغيرهم، في أصناف الفنون، فتجد منهم من يقلد الفقهاء في فقههم ومن يقلد الشعراء في شعرهم والمحدثين في حديثهم والأشعرية في أشعريتهم والمعتزلة في اعتزالهم.. الخ، وكأنك أمام صورة مكررة من بلاد المشرق في كثير من الجوانب. وهذا البحث في العقائد الأندلسية ما هو إلا جزء من سلسلة في هذا الباب ستأتي تباعاً وتنتشر بحول الله وقوته. وقد أردت أن أجعله في باب الأسماء والصفات، وأوردت وتتبع آراءهم واستخلصت النتائج في نظرات عديدة في منهجية كل منهم رحمهم الله. ومن البديهي لطالب العلم أن يجد جل هؤلاء العلماء قد سلك مسلك المتكلمين في تأويل الصفات وإثباتها؛ لأن هذا المسلك الكلامي شاع في العالم الإسلامي في تلك الأزمان، وكان الغريب النادر من لا يعرف علم الكلام من طلبه العلم، ويعتمد الحديث والأثر في ذلك. ومع هذا فلهؤلاء العلماء الباع الطويل في حفظ الشريعة والدفاع عن المسلمين والرد على أهل البدع. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حق بعض علماء الأندلس لما تكلم على عقائدهم، فقال مبيناً ومنصفاً:

«على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به يأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم ويعلم وصدق وعدل وإنصاف» ( )

فهذا ميزان الاعتدال في خلق العلماء وطلبة العلم مع المخالف في العقائد ممن يمكن أن يتأول له، فما بالك بالفروع أو المسائل الفقهية أو الاجتهادات الدعوية أو المسائل الأخرى.. تفهم كامل وإنصاف مع الخصوم وبيان لما أصاب فيه من الحق ولما أخطأ فيه إخوانه من العلماء وطلبة العلم. هذا في مسائل لو رآها هؤلاء الأخيار لانتقصوا عقل من اشتط فيها على إخوانه ورموه بالشدّة والغلظة.

ومهما يكن من أمر فما هؤلاء العلماء إلا بشر يخطئ ويصيب، فمن اجتهد ووافق الحق فأصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر واحد ، تبعاً للقاعدة الشرعية ، كما لا يعني التماس العذر والتأول لهم والدعاء لهم بالمغفرة أن لا نبين أن العالم أو الفقيه أخطأ في مسألة كذا وكذا ، بل المنهج الحق بيان ذلك ، كما علمنا من منهج علماء السلف الصالح رحمهم الله.

وفي نهاية هذه المقدمة لا بد من الإشارة والتنويه إلى أن هذا البحث قد جاء في مقدمة وتمهيد وأثنى عشر فصلاً على النحو التالي:

المقدمة

التمهيد

الفصل الأول: أبو الوليد الباجي ومنهجه في الصفات

الفصل الثاني: ابن عطية ومنهجه في الصفات

الفصل الثالث: ابن حزم ومنهجه في الصفات

الفصل الرابع: الشاطبي ومنهجه في الصفات

الفصل الخامس: القرطبي المفسر ومنهجه في الصفات

الفصل السادس: ابن خلدون ومنهجه في الصفات

الفصل السابع: ابن العربي ومنهجه في الصفات

الخاتمة

الفهارس

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الكلمات المفتاحية: علماء الأندلس، مناهج علماء الأندلس، العقائد في الأندلس، علم الكلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الأندلسيون كغيرهم من علماء المسلمين حيث تعددت مناهج علماء الأندلس في توحيد الأسماء والصفات كسائر بلاد المشرق سواء بسواء لولوع الأندلسيين بالمشاركة وتقليدهم في أغلب أمورهم. فمن علماء الأندلس من أثبتتها على منهج السلف الصالح، كابن عبد البر ومنهم أثبت بعضها وتأول بعضها ، دون سلوك منهج معين كابن حزم ، وإن كان الأغلب عليه عدم الإثبات مع قوله بالظاهر ، ومنهم من نهج منهج المتكلمين الأشاعرة كالقرطبي صاحب الإعلام وابن العربي وغيرهم مع قرب البعض منهم عن الآخر من السنة والجماعة حسب قرينه من الحديث والدليل ، ومنهم من لم يرد عنه إلا القليل في كتب التاريخ والأدب الأندلسي ، وكذلك كتب العلم الشرعي والفقه.

ويذكر لنا ابن الأبار أن عالماً يسمى التجيبي<sup>(1)</sup> نقل كتاباً عنه إلى القاسم الطليطي سنة خمسمئة وكتب من أصله بخطة تأليفه المترجم بكشف جمل من التعطيل بحجج من الأثر والنظر والتنزيل. وهو جواب لرجل ورد من المشرق يتكلم في خلق القرآن والنزول إلى السماء الدنيا وأمثال ذلك<sup>(2)</sup>.

وفي النسخ يذكر المقرئ أن الفقيه الصالح الجياني<sup>(3)</sup> كان محدثاً طاف بالبلاد، وينقل عنه بإسناده الطويل من إثبات صفة الرؤية لله ﷻ<sup>(4)</sup>، وغير هؤلاء كثير ممن وردت لهم أمثال هذه الجمل في التراجم. ما يدل على اعتناء الأندلسيين بمسائل أصول الدين، ولو ذهبت أحصى ما في الصلة لابن بشكوال والنسخ وأزهار الرياض وتاريخ علماء الأندلس وغيرها من كتب التراجم لطال المقام جداً، ولذا فيسكون منهجي فيه على النحو التالي:

## منهجية البحث

- أنني اقتصرت على بعض أشهر علماء الأندلس ممن وجدت في كتبه ما يحدد لنا منهجه، إذ حصر جميع العلماء في الأندلس يعصب ويضيق المقام به، ولعلي أوسع ذلك مستقبلاً في بحث علمي.
- اكتفيت ببعض الصفات التي تبين منهج العالم في اعتقاده دون إيراد كل الصفات.
- اكتفيت باستعراض اعتقادات العلماء والتنبيه على الخطأ الذي وقع فيه بعضهم دون إيراد الردود العلمية عليهم، فالمقام لا يحتمل ذلك.
- ذكرت ترجمة مختصرة لكل علم من هؤلاء الأعلام الذين أوردت لهم كلاماً مهماً في البحث. وبالله التوفيق.

## الفصل الأول

### أبو الوليد الباجي<sup>(5)</sup> ومنهجه في الصفات

مجمل ما تكلم عليه الباجي في أسماء وصفات رب السموات، كان في رسالته التي رد بها على رسالة القسيس النصراني، وناقش فيها صفتين من الصفات، وهل تثبت، كما رد على انحرافهم في هذه الصفات.

### قولهم: صفة الدم

قال راهب فرنسا في رسالته للمقتدر: "فهو الإله الذي اتخذ حجاباً على صورتنا لينفذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس"<sup>(6)</sup>. فماذا كان رد الباجي على هذا التلبس؟

قدم أبو الوليد قبل الرد على رسالة الراهب مقدمة بين فيها أن عقائد النصارى من محالات العقول والشرائع الشيء الكثير، ثم ناقش النصراني في عقائده مناقشات عامة، ومما قاله في زعمهم دم الإله الذي افتدى به خطايا البشر: «ومن أغرب ما تأتون به، قولكم: إنه بذل دمه في خلاص العباد، وكيف يكون للرب دم؟! والدم من الأجسام المحدثة المخلوقة، ولو حددتم الكلام، لزعمتم أنه

1. علي بن عبد الله بن محمد التجيبي الواعظ ورد طليطلة سنة 499هـ. انظر (المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص 283)

2. لمصدر السابق، ص 283

3. هو أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني، المحدث الشهير، ولد بجيان سنة 493هـ. انظر (نسخ الطيب 628/2)

4. انظر نسخ الطيب 628/2، 629

5. هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي أبو الوليد، فقيه محدث إمام متقدم مشهور عالم متكلم، أما ولادته فقال غير واحد أنه ولد سنة (403 هـ) ويذكر أنه نشأ وهمته في العلم وأنه بدأ بالأدب، فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته فقال به كل الرغائب.

ومما أجمع عليه العلماء؛ الإقرار بفضل وعلم أبي الوليد، وأنه كان نظيراً لابن حزم ولاكابر العلماء في الأندلس وقد ابتدأ -كما سبق- أديباً شاعراً، وقد ارتحل إلى الحجاز للحج، ثم أقام مع أبي ذر الهروي ثلاث سنوات وكان يسافر معه وقد أقام بالمشرق ثلاثة عشر عاماً وارتحل إليه سنة (426هـ)، ثم انصرف إلى الأندلس، وقد نال قدراً كبيراً من العلم. وصف بأن له تاليف تدل على معرفته وسعة علمه ولما ذكرها المقرئ في نفحه أشار إلى أن له منها:

"المنتقى من شرح الموطأ" ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج، وهو مما يدل على تبحره في الفنون.

قال صاحب البيغية: «توفي سنة أربع وسبعين وأربعمئة (474 هـ) بالمرية، وكان أعلم عصره علماً وديانة» رحمه الله رحمة واسعة. انظر (بيغية الملتمس 385/2، سير أعلام النبلاء 535/18 (274) (وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، 408/2)، (نسخ الطيب 68/2، 69)

6. رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، وجواب القاضي أبو الوليد الباجي عليها، ص 50

دم الناسوت دون اللاهوت، وللزمكم أن تقولوا: إن المصلوب هو الناسوت دون ابن الله تعالى، لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات !! ، وهذه صفة لا تصح إلا على محدث مخلوق ؛ لأن الحياة القدسية لا يصح عدمها، ولئن جاز هذا عليه، ليجوزن على أبيه - بزعمكم- ؛ لأنه على صفة ابنه بل هو هو عند جماعة منكم، فكيف يكون إلهاً قديماً حياً لم يزل، من يجوز عليه الموت وعدمت حياته، وكيف لم يذب عن نفسه الموت..»<sup>(1)</sup>.

### صفة الكلام:

ضل النصراني في صفة الكلام - كما مر آنفاً - إذ زعموا أن الكلام مخلوق وأن الكلمة مخلوقة وهي عيسى عليه السلام ، وكان مما خاطب به الراهب المقتدر بالله، كلامه الضعيف الركيك الذي يدعوا بذاته إلى الكفر به والتشكيك. وهو مع ذلك يأمل بهذا أن يدخل به المسلمون في دينه، فيوبخه الباجي قائلاً : «ولكنها ألفاظ تستعملها في غير مواضعها، لأنك لا تعرف مقتضاها، ولوددنا أن الله بفضله يبسر لك الهجرة إلينا والمثول لدينا، فتسمع الكلام على حقيقته في معاني الألفاظ<sup>(2)</sup> ، وتسمع الكلام الإلهي على الحقيقة كلام رب العالمين، تولى حفظه ربنا ﷺ ، وعمر به أسننتنا وقلوبنا، فلا يمكن أحداً تغييره ولا تبديله، ولا صرفه عن وجهه ولا تحريفه، فلو قرع سمعك منه سورة واحدة أو آية كاملة، لرجونا أن يكون ذلك مما ينور قلبك، ويستولي على نفسك، ويعود بك إلى الدين الأفضل والسبيل الأمثل: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾<sup>(3)</sup>. وقد ورد مُتَحَمَّلاً كتابك، فما أورده إلا كلام البشر الذي جرت عادة أهل الضعف بإيراده عند العجز والفشل والتبذير والخور مع التحير والانقطاع والاضطراب في الدعاوى والأقوال»<sup>(4)</sup>.

### صفة النزول:

في شرحه لحديث النزول لم يثبت الباجي بل تأوله بأنه كناية عن إعطاء السائلين وغفران المستغفرين ، وقال في الوجه الثاني من شرحه للحديث: « أن التأويل في حديث التنزيل أقرب وأبين»<sup>(5)</sup>. وذكر في صفات الضحك والساق ونحوها ومال إلى تأويلها.

### صفة الضحك:

وعلى مسلك المتأولين الأشعرية سار في ذلك وقال في شرحه لحديث : « يضحك ربك»<sup>(6)</sup>. قال: «يريد والله أعلم أنه يفعل بهما ويتلقاهما من الثواب والإنعام والإكرام بما يتلقى به الضاحك المسرور لمن يقدم عليه بعد ذلك ، ويحتمل أنه يريد به أن الله يضحك ملائكته وخرنة جنته أو حملة عرشه إلى هذين الرجلين..»<sup>(7)</sup>.

### صفة العلو:

أثبت الباجي نوعاً من العلو وهو علو الشأن والرفعة على مذهب المتكلمين ولم يثبت علو الذات لله تعالى<sup>(8)</sup>.

### نظرة في منهجية الباجي:

نزه الباجي ما ادعاه المنحرفون في صفات الله تعالى بلا دليل ، وأثبت صفة الكلام على طريقة المتكلمين ، أن الله متكلم بكلام نفسي قديم قائم بذاته لا يتجزأ ولا يتبعض ، وهو معنى قديم ، وتأول كذلك صفات الأفعال كالضحك والنزول ، و صفات الذات كالساق واليدين ونحوها... وهذا بلا شك مخالف لمنهج الحق ومنهج الأنبياء وأتباعهم من السلف الصالح.

1. المصدر السابق، ص 80

2. هذا قول المتكلمين في صفة الكلام: أنه معنى واحد قائم بالذات لا يتجزأ ولا يتبعض..

3. سورة آل عمران الآية(58)

4. رسالة راهب فرنسا وجواب القاضي الباجي عليها ، ص 70 - 72

5. المنتقى شرح الموطأ 356/1 ، 357

6. رواه البخاري 1040/3 كتاب الجهاد ، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم.. ، و مسلم 1504/3 كتاب الجهاد ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر.

7. المنتقى شرح الموطأ 205/3

8. انظر المصدر السابق 273/6 ، 274

والذي يظهر أن الباجي رحمه الله كان على مذهب الأشعرية في العقائد والمالكية في الفروع ، مع ميل إلى علم الحديث والعناية به ، وقد أوضح لنا هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه فقال: «..ويأخذون ذلك عنه كما أخذ أبو الوليد الباجي ، ثم رحل الباجي إلى العراق فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل صاحب ابن الباقلاني ، ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل»<sup>(1)</sup>

وقال في موضع آخر: « وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة يدلهم على أصلها ، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر ، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد»<sup>(2)</sup>

وقال: «وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم واتباعه السالمية والقاضي أبو يعلى وأتباعه كابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني ، وهي طريقة أبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم»<sup>(3)</sup>

وقال ابن ناصر عن عناية بعلم الحديث ، وأنه من كبار أهل هذا العلم في عصره، بل وعده في جملة المحدثين الكبار : « ثم من كان من الأعلام إلى حدود الخمسين وأربعمائة عام كأبي عبد الله محمد بن علي الصوري والحسن بن محمد الخلال والخليل بن عبد الله الخليلي وعدة من الرجال ، ثم من كان بعد الخمسين إلى حدود أربعمائة وثمانين ، كأبي بكر البيهقي الإمام وعبد الله بن محمد الأنصاري شيخ الإسلام وأبي بكر أحمد بن علي خطيب بغداد وأبي عمر بن عبد البر وأبي الوليد الباجي ، وعدة من النقاد»<sup>(4)</sup>

## الفصل الثاني

### ابن عطية<sup>(5)</sup> ومنهجه في الصفات

تكلم ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» على بعض الصفات واجتهد أن يصيب الحق وأن يستدل بأقوال أهل العلم ومن ذلك:

#### صفة اليد

ذهب أبو محمد بن عطية عند تفسير قوله تعالى : «لما خلقت بيدي»<sup>(6)</sup> إلى أن اليد هي القدرة أو القوة تأويلاً لها عن ظاهرها - وقال رحمه الله :

« قرأ جمهور الناس : «بيدي» بالثنية. وقرأت فرقة : «بيدي» بفتح الياء ، وقد جاء في كتاب الله : « مما عملته أيدينا » بالجمع. وهذه كلها عبارة عن القدرة ، والقوة وعبر عن هذا المعنى بذكر اليد تقريباً على السامعين ، إذ المعتاد عند البشر أن القوة والبطش والافتقار إنما هو باليد ، وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى تقتضي أن تتكرر نفوسها أن يكون خلق بغير مماسه ، ونحو هذا من المعاني المعقولة ، وذهب القاضي ابن الطيب إلى أن اليد والوجه صفات ذات زائدة على القدرة والعلم وغير ذلك من متقرر صفاته

1- درء تعارض العقل والنقل 271/1

2- المصدر السابق 102-101/1

3- مجموع الفتاوى 368-367/12

4- الرد الوافر 16/1

5- هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام المحاربي.

تربى ابن عطية في بيت علم وفضل، فولده أبو بكر بن عطية من العلماء المرموقين والفقهاء الحفاظ لحديث النبي ﷺ، فلا عجب أن يخرج هذا الابن العلامة من ذلك الفقيه المحدث، ذرية بعضها من بعض، أما ولادته فكانت في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (481 هـ). كان عبد الحق فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والنحو والأدب، مقيداً حسن التقييد (حسن الخط) له نظم ونثر ، ولي القضاء ، وكان غاية في الدهاء والذكاء والتهمم بالعلم ، سرى الهمة في اقتفاء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم، وأعز الخطة. قلت: وهو من العلماء العاملين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وله مشاركات في الجهاد والرباط.

روى عن أبيه، وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي المطرف الشعبي... وغيرهم.

وقد روي عنه جماعة منهم: أبو بكر بن أبي حمزة، وابن حبيش وابن حكيم.

أما أهم مصنّفاته فهو كتابه في التفسير المسمى «بالمحرر الوجيز» فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار. وألف "برنامجاً" ضمنه مروياته، وأسماء شيوخه وجرز وأجاد».

توفي رحمه الله في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة (546 هـ). انظر (الإحاطة 539/3 ، سير أعلام النبلاء 587/19

(337)، نفع الطيب 523/2 ، الإحاطة 539/3

6. سورة ص الآية (73)

تعالى، وذلك قول مرغوب عنه ، ويسمى الصفات الخبرية. وروي في بعض الآثار أن الله تعالى خلق أربعة أشياء بيده وهي : العرش والقلم وجنة عدن وآدم وسائر المخلوقات بقوله : كن. قال القاضي أبو محمد :

وهذا إن صح فإنما ذكر على جهة التشريف الأربعة والتبنيبه منها ، وإلا فإذا حقق النظر فكل مخلوق فهو بالقدرة التي بها يقع الإيجاد بعد العدم<sup>(1)</sup>

وأولها في موضع آخر بأنها النعمة ، التي ينعم بها على عباده عند تأويل قوله تعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾<sup>(2)</sup> ومما قاله :

« وقوله تعالى: ﴿يد الله﴾ ، قال جمهور المتأولين: اليد ، بمعنى النعمة ، أي نعمة الله في نفس هذه المبيعة لما يستقبل من محاسنها. ﴿فوق أيديهم﴾ التي مدوها لبيعتك ، وقال آخرون : ﴿يد الله﴾ هنا ، بمعنى : قوة الله فوق قواهم ، أي في نصرك ونصرهم ؛ فالآية على هذا تعيد نعمة عليهم مستقبلة مخبر به ، وعلى التأويل الأول تعيد نعمة حاصلة تشرف بها الأمر. قال النقاش : ﴿يد الله﴾ في الثواب<sup>(3)</sup>

### صفة الكلام

يتأول ابن عطية صفة الكلام ويثبتها من وجه ، بأن القرآن كلام الله وأن الله تعالى متكلم ، وعند تأويله لقول الله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾<sup>(4)</sup> قال معبراً عن معتقده في صفة الكلام :

«والمعنى في قوله كلمه أي : خلق له إدراكاً سمع به الكلام القائم بالذات القديم الذي هو صفة ذات ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : أدنى الله تعالى موسى حتى سمع صريف الأقدام في اللوح ، وكلام الله ﷻ لا يشبه شيئاً من الكلام الذي للمخلوقين ولا في جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات»<sup>(5)</sup>

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾<sup>(6)</sup> يثبت أبو محمد بن عطية هذه الصفة ويفصح عن عقيدته في الكلام على طريقة المتكلمين :

«وكلام الله للنبي موسى ﷺ دون تكييف ولا تحديد ولا تجويز حدوث ولا حروف ولا أصوات ، والذي عليه الراسخون في العلم : أن الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى أو جبريل إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام ، وكما أن الله تعالى موجود لا كالموجودات ، معلوم لا كالمعلومات فذاك كلامه لا كالكلام»<sup>(7)</sup>

### صفة الرضى

يذهب ابن عطية أن الرضى هو الإرادة ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾<sup>(8)</sup> ويذكر أن الناس في معني الآية على طائفتين ، ومال إلى أن معنى الرضى صفة فعل :

«ومعنى: لا يرضاه ، لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيراً ، فالرضى على هذا هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه. وتأمل الإرادة فأنها حقيقة ، إنما هي فيما لم يقع بعد ، الرضى، وإنما هو حقيقة فيما قد وقع، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده»<sup>(9)</sup>

### صفة القدرة

1. المحرر الوجيز 52/14
2. سورة الفتح الآية(10)
3. المحرر الوجيز 96/15
4. سورة الأعراف الآية(143)
5. المحرر الوجيز 154/7
6. سورة النساء الآية(164)
2. المحرر الوجيز 312/4
3. سورة الزمر الآية(7)
4. المحرر الوجيز 64/17

يُثبت ابن عطية صفة القدرة عند تأويل قوله تعالى : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ (1) وبميل إلى قول المتكلمين قائلًا :

«ومعناه عند المتكلمين على كل شيء يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه و﴿قدير﴾ بمعنى قادر ، وفيه مبالغة» (2)

### صفة الإرادة

يُثبت ابن عطية صفة الإرادة لما تعرض لآيات تأويلها ويعقب تعقيبات حسنة (3) ، وأنها هي القدر المقدر الذي كتبه الله.

### صفة الخلة

أثبت ابن عطية صفة الخلة وأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا كما دلت عليه الآية كما اتخذ محمدًا ﷺ خليلًا كما في صحيح مسلم (4).

### صفة الحياة

ذهب ابن عطية إلى أن صفة الحياة من صفات الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الله لإله إلا هو الحي القيوم ﴾ (5) ويرد على من خالف في ذلك :

«والحي صفة من صفات الله تعالى ذاتية ، وذكر الطبري ، عن قوم أنهم قالوا : الله تعالى حي لا بحياة ، وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه ، وحكى عن قوم أنه حي بحياة هي صفة له، وحكى عن قوم أنه يقال حي كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه» (6)

### صفة العلو والفوقية

تأول ابن عطية هذه الصفة بأنها القدرة والاستيلاء والقهر والقدرة والعظمة، فعند تأويل قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (7) قال :

«قوله تعالى: ﴿ وهو القاهر ﴾ الآية ، أي وهو ﷻ المستولي المقدر ، وفوق نصب على الظرف لا في المكان بل في المعنى الذي تضمنه لفظ القاهر ، كما تقول زيد فوق عمرو في المنزلة ، وحقبة فوق في الأماكن ، وهي في المعاني مستعارة شبه بها من هو رافع رتبة في معنى ما ، لما كانت في الأماكن تنبئ حقيقة عن الأرفع وحكى المهدي: أنها بتقدير الحال ، كأنه قال : وهو القاهر غالبًا» (8)

«قال القاضي أبو محمد: وهذا لا يسلم من الاعتراض أيضا والأول عندي أصوب» (9) ، وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (10) إن الآية لها معنيان ، وتجنب في كلا المعنيين إثبات العلو الذاتي لله تعالى وقال :

«أحدهما الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فهي فوقية القدر والعظمة والقهر والسلطان ، والآخر أن يتعلق قوله من فوقهم بقوله يخافون ، أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم ، وذلك أن عادة عذاب الأمم إنما أتى من جهة فوق» (11)

5. سورة البقرة الآية (19)

2. المحرر الوجيز 140/1 ، وانظر كذلك 398/15

3. انظر المصدر السابق 272/2 ، 88/4 - 90

2. انظر المحرر الوجيز 265/4 ، 266

3. سورة البقرة الآية (254)

4. المحرر الوجيز 274/2 ، وانظر كذلك 8/3

5. سورة الأنعام الآية (18)

8. المحرر الوجيز 17/6

1. المصدر السابق 19/6

2. سورة المائدة الآية (66)

3. المحرر الوجيز 195/10

## صفة الرؤية

أثبت أبو محمد صفة الرؤية ، وأن العباد يرون ربهم ﷻ وعزا ذلك إلى الآثار ، وأشار إشارات ناقدة لمن نفى لرؤية من المعتز له ، وأشار إلى الفارق بين الأشعرية وأهل السنة في مسائل العقيدة واتفاقهم مع أهل السنة في مسائل ومنها هذه : «ورؤية الله ﷻ عند الأشعرية وأهل السنة جائز عقلاً ، لأنه من حيث هو موجود تصح رؤيته ، قالوا: لأن الرؤية للشئ في الآخرة نصاً ومنعت من ذلك في الدنيا بظواهر من الشرع ، فموسى ﷺ لم يسأل ربه محالاً وإنما سأل جائزاً»<sup>(1)</sup> وقال في موضع سورة القيامة : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»<sup>(2)</sup> : «حمل هذه الآية جميع أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى ، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم ، موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو لا يشبه المرئيات في شئ، فإنه ليس كمثل شئ لا إله إلا هو»<sup>(3)</sup>، ثم استدلل ببعض الأدلة المتواترة من السنة المطهرة وقال : «وقال الحسن تنظرون إلى الله تعالى بلا إحاطة ، وأما المعتزلة الذين ينفون رؤية الله تعالى ، فذهبوا في هذه الآية إلى أن المعنى إلى رحمة ربها ناظرة أو إلى ثوابه أو ملكه ، فقدروا مضافاً محذوفاً ، وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول ، فلان ناظر إليك في كذا ، أي صنعك في كذا. والرواية إنما تثبتها بأدلة قاطعة غير هذه الآية ، فإذا ثبت حسن تأويل أهل السنة في هذه الآية وقوي»<sup>(4)</sup>

## صفات الأول والآخر والظاهر والباطن

يتكلم ابن عطية على هذه الصفات كلاماً حسناً ويثبتها لله ﷻ كما ينبغي له ومن شرحه على الآية « هو الأول والآخر والظاهر والباطن»<sup>(5)</sup> الذي ليس لوجوده بداية مفتوحة. «والآخر» الدائم الذي ليس له نهاية منقضية ، قال أبو بكر الوراق هو الأول بالأولية ، والآخر بالأبدية ، وهو الأول بالوجود ، إذ كل موجود فبعده وبه. والآخر إذا ترقى العقل في الموجودات حتى يكون إليه منتهاها ، قال ﷻ : «وإن إلى ربك المنتهى»<sup>(6)</sup>. «والظاهر» معناه بالأدلة ونظر العقول في صنعته. «والباطن» بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا يصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام. ويحتمل أن يريد بقوله: «الظاهر والباطن» أي الذي بهر وملك فيما ظهر للعقول وفيما خفي عنها فليس في الظاهر غيره حسب قيام الأدلة ، وليس في باطن الأمر وفيما خفي عن النظرة مما عسى أن يتوهم غيره»<sup>(7)</sup>

## صفة الاستواء

لم يجزم ابن عطية ويوضح عقيدته في استواء الرحمن على العرش وإنما أورد أقوال الأشعرية والمعتزلة وعلماء السنة ولكنه يميل إلى تأويله عن ظاهره.

ففي تفسيره العديد من المواضع لقوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»<sup>(8)</sup> سلك مسلك التأويل ، ومما قاله في تأويلها : «معناه عند أبي المعالي وغيره من حذاق المتكلمين بالملك والسلطان ، وخص العرش بالذكر تشريفاً له إذ هو أعظم المخلوقات ، وقال سفيان الثوري فعل فعلا في العرش سماه استواء»<sup>(9)</sup> ، وقال في موضع آخر بعده : «وقد تقدم القول في كلام الناس في الاستواء ، واختصاره : استوى - في هذا الموضع -بمعنى استولى - والاستيلاء قد يكون دون قهر. فهذا فرق ما بين القولين. وقال سفيان : فعل فعلا سماه استواء. وقال الفراء : استوى في هذا الموضع - كما تقول العرب : فعل زيد كذا ثم استوى إلي يكلمني ، بمعنى أقبل وقصد. وحكي لي عن أبي الفضل بن النحوي أنه قال : العرش - في هذا الموضع

4. المصدر السابق 154/7

5. سورة القيامة الآية(22)

3. المحرر الوجيز 177/16

4. المصدر السابق 177/16 ، 178 ،

2. سورة الحديد الآية(3)

3. سورة النجم الآية(42)

4. المحرر الوجيز 398/15

5. سورة طه الآية(5)

9. المحرر الوجيز 75/7 ، وانظر كذلك 63/11



- مصدر عرش ، ومكانه أراد جميع المخلوقات. وذكر أبو منصور عن الخليل : أن العرش : الملك ، وهذا يؤيد منزع أبي الفضل بن النحوي إذ قال : العرش مصدر ، وهذا خلاف ما مشى عليه الناس من أن العرش هو أعظم المخلوقات وهو الشخص المشهور الذي كان على الماء والذي بين يديه الكرسي؛ وأيضاً فينبغي النظر على أبي الفضل في معنى الاستواء قريباً مما هو على قول الجميع. وفي البخاري عن مجاهد أنه قال : المعنى : علا على العرش. قال القاضي أبو محمد :

وكذلك هي عبارة الطبري. والنظر الصحيح يدفع هذه العبارة<sup>(1)</sup> وختم في موضع آخر في خلاصة تفسيره مؤكداً تأويله للاستواء : قال القاضي أبو محمد: وهو الأصوب. «والاستواء على العرش هو بالغبلة والقهر المستمرين بالقدرة»<sup>(2)</sup>

### نظرة في منهجية ابن عطية

يثبت ابن عطية كثيراً من الصفات ويتأول البعض على طريقة المتكلمين ويورد في تفسيره الأقوال فيها ثم يرجح ما يراه راجحاً عنده ، ويلاحظ أنه لا يعتنق الأشعرية بل يقول ببعض قولها وأنه يفرق بين أهل السنة والأشاعرة كما ورد أنفاً. كما أنه رد على تأويلات المعتزلة والفلاسفة للصفات في كثير من المواضع في تفسيره.

وقد نقل عنه ابن تيمية في كتبه ، بل اعتبر أن تفسيره به خير كثير خلافاً لكتب بعض أهل البدع ، ففي موازنة بين كتب أهل التفسير قال ابن تيمية ، مقارناً تفسير ابن عطية بتفسير الزمخشري: «و تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير»<sup>(3)</sup>

### الفصل الثالث

#### ابن حزم ومنهجه في الصفات (4)

كان ابن حزم ولا يزال في فكره وعلمه موضع جدل بين الفقهاء وطلبة العلم والمفكرين والمتقنين والمستشرقين والنصارى وأهل العصر من جميع الفئات والأديان قديماً وحديثاً. ذلك أنه التزم وألزم نفسه بمذهب الظاهرية في نظراته للنصوص ، وألزم نفسه تحكيم عقله بعد إعماله في النصوص الشرعية قدر استطاعته ، وألزم نفسه عدم التقليد بمتن أو نظم أو مذهب معين ، مما جعله يبدو لنا في كثير من المسائل لا يستقيم على وتيرة واحدة بل يتذبذب في بعض القواعد التي يسلكها وقد يقول بضعها في كتابه أو كتبه اللاحقة.

وهذا ليس عيباً في جميع أحواله ، بل قد يكون منقبة علمية ، فيرجع إلى الحق بين تحقيق وتعمق أو مناظرة أو جدل وابن حزم - لمن قرأ كتبه - لا يأنف من ذلك بل لديه من الشجاعة الأدبية ما تجعله يقدم على مثل هذه القضايا العلمية ، وسيتبين لنا من خلال التأمل في عقيدته في الصفات أن هذه حقيقة من الحقائق التي ميزت ابن حزم عن غيره ، هذا وقد ألف ابن حزم في باب الصفات

1. المصدر السابق 6/10 ، 7 وانظر كذلك 8 / 9

2. المصدر نفسه 15 / 99

3. الفتاوى الكبرى 229/2

4. هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أصله من الفرس، وجدده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان. ولد ابن حزم سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (384 هـ)، ونشأ في بيت وزارة، فأبوه كان وزيراً، وكذا تولاها ابن حزم نفسه، وكان بيته الذي نشأ فيه بيت

عز ومال وجاه عريض، طالما اعترز به ابن حزم.

وصفه الحميدي بأنه : «كان حافظاً عالمياً لعلوم الحديث والفقه ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متقناً في علوم جملة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة ... متواضعاً ذا فضائل جملة». أما أهم مصنفاته:

فهي كثيرة تجل عن الحصر، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع وآخر كثير مفقود، وقد أوصلها ابن الخطيب في إحاطته أنها: «بلغت أربعمئة مجلد، وقال: حمل بعير». ومن أشهرها الأحكام لأصول الأحكام ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الإجماع ومسائله ، وغيرها. توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وأربع مئة للهجرة (456 هـ). انظر (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس 489/2) ، (سير أعلام النبلاء ، 184/18) (بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، 543/2) (ابن حزم حياته وعصره وأراؤه وفقهه لأبي زهرة ، ص 27 ، دار الفكر العربي) (نفع الطيب 78/2) (الإحاطة في أخبار غرناطة 113/4)

والأسماء وذكر المقرئ عن الغزالي أنه قال : «وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه»<sup>(1)</sup>

### حكم إطلاق لفظ الصفات

شنع ابن حزم على من أطلق لفظ الصفات وأنه من المحالات بل إنه من البدع المنكرة التي أحدثتها المعتزلة ومما قاله في هذا الباب :

« قال أبو محمد : وأما إطلاق لفظ الصفات لله ﷻ فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينص قط في كلامه المنزل على لفظ الصفات ، ولا على لفظ الصفة ولا جاء قط عن النبي ﷺ بأن الله تعالى صفة أو صفات ، نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا عن أحد من خيار التابعين ، ولا عن أحد تابعي التابعين ، وما كان هكذا فلا ينبغي لأحد أن ينطق به»<sup>(2)</sup>

ثم ضعف بعض الحديث الوارد في ذكر صفة الرحمن عن عائشة رضي الله عنها في الرجل الذي كان يقرأ قل هو الله أحد في كل ركعة مع سورة أخرى فلما سأله رسول الله ﷺ عن ذلك قال: صفة الرحمن فأنا أحبها، فأخبره رسول الله ﷺ أن الله يحبه<sup>(3)</sup>

ورأى بعد استطراد أنه إذا صح أن نقول صفة الرحمن فنقال لسورة الإخلاص الواردة فقط وقال: «فأنكر إطلاق الصفات جملة فبطل تمويه من موه بالحديث المذكور ليستحل بذلك ما لا يحل من إطلاق لفظ الصفات حيث لم يأت بإطلاقها فيه نص ولا إجماع أصلاً ، ولا أثر عن السلف والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ، ومنعهم من القول بأنها نعوت وسمات ، ولا فرق بين اللفظتين لا في لغة ولا في معنى ، ولا في نص ولا في إجماع وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل»<sup>(4)</sup>

ولا شك أن هذا قول مرجوح مخالف لنص صحيح من كتب صحيحة تلقنتها الأمة بالقبول.

### الأسماء الحسنى

يثبت ابن حزم الأسماء الحسنى وفق الدليل الشرعي ، بل له كتاب في ذلك اسمه : « أسماء الله الحسنى »<sup>(5)</sup> ونظرته الظاهرية في النص لا تخفى على من اطلع على كتبه ومن أثر نظرتة في النص:

### عدد الأسماء الحسنى

يشدد ابن حزم في إثبات تسعة وتسعين اسماً فقط ، لنص الحديث الشريف عليها ، مئة إلا واحداً ، وأنه لا يحل لأحد أن يزيد عليها ، وذكر أنه قد تقصاها بأسانيدها في كتاب سماه « الإيصال »<sup>(6)</sup>.

ومن المعلوم لدى محققي علماء السنة والجماعة أن الأسماء الحسنى ليست محصورة في تسعة وتسعين اسم فقط بل هي أكثر من ذلك لدلالة حديث : «أسألك بكل اسم هو لك..»<sup>(7)</sup>

### حكم اشتقاق أسماء الفاعل من الآيات

1. نفع الطيب 78/2

2. الفصل 283/2

2. رواه البخاري 2686/6 ، رقم: 6940 ، كتاب التوحيد. ومسلم 557/1 ، رقم: 813 ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

3. الفصل 285-283/2

5. انظر مقدمة المحقق 9/1 في كتابه الفصل

6. انظر المحلى 30/1

2. رواه أحمد في المسند 391/1 ، رقم: 3712 ، وابن حبان في صحيحه 253/3 ، رقم: 912 باب ذكر الأمر لمن أصابه حزن.. ، وابن أبي شيبه في

المصنف 40/6 ، رقم: 29318

يرى ابن حزم أنه لا يحل لأحد أن يشتق الأسماء من آيات الجزاء كقوله تعالى: «خير الماكرين»<sup>(1)</sup> وكقوله: «وأكيد كيدا»<sup>(2)</sup> فلا يحل له أن يسميه تعالى الماكر، المخادع ولا الكياد ولا المستكبر.. الخ، لا على أنه المجازي بذلك، ولا على وجه أصلاً. ومن ادعى غير هذا فقد الحد في أسمائه تعالى وقال على الله الكذب<sup>(3)</sup> ومما يجدر ذكره أنه لا يجوز اشتقاق اسم الفاعل من صفات المقابلة والجزاء كما ذكر ذلك العلامة حافظ الحكمي عن سلف الأمة أهل السنة والجماعة<sup>(4)</sup>.

### الأسماء المحدثه

حرم ابن حزم الأسماء التي أحدثها المتكلمون وغيرهم كالقديم، والجسم، وافترض أخرى قد يسميه بعض الناس بها، كالسلطان، الذكي، النبيل، الرقيق، وزعم أن الأسماء الحسنی مجرد أعلام لا تتضمن أية صفة<sup>(5)</sup> وهذا من خطئه -رحمه الله- وموافقته للمعتزلة والجهمية الذين طالما رد عليهم وحاجهم

### اضطراب ابن حزم في الإثبات والنفي في الصفات

في كتابه القيم الفصل يظهر هذا جلياً واضحاً فضلاً عن غيره من كتبه، فهو تارة يسلك مسلك النفاة فلا يثبت إنما ينفي أو يؤول على أحسن حال وتارة يثبت على منهج أهل السنة والجماعة في كلام علمي رصين حسن متميز ثمين وهذا من اضطرابه في مسألة الصفات وتقليده للفلاسفة وغيرهم رحمه الله. ففي موضع الرد على ترهات اليهود وصفها الرب بصفات البشر يثبت أن المجيء والنزول أفعال من صفات الله الثابتة له تعالى فيقول:

«قال " أبو محمد " (رضى الله عنه) : هذا تجسيم لاشك فيه ، وتشبيه لا خفاء به، وليس هذا كقول الله تعالى : «وجاء ربك والملك صفاً صفاً»<sup>(6)</sup>، ولا كقوله تعالى : «إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة»<sup>(7)</sup> ولا كقول رسول الله ﷺ : «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة في ثلث الليل الباقي إلى سماء الدنيا»<sup>(8)</sup> ؛ لأن هذا كله على ظاهرة بلا تكلف تأويل ، إنما هي أفعال يفعلها الله ﷻ تسمى مجيئاً وإتياناً وتنزلاً»<sup>(9)</sup> كما أثبت في محله هذا القول الأنف في النزول وأثبت بعض الصفات كاليد والعين والخلة<sup>(10)</sup> وكنا قد قدمنا نهي ابن حزم عن استخدام لفظ الصفات وتشده في ذلك وتبديعه لمن أطلق القول فيه ولكنه استخدمه في سياق كلامه على العقائد في مقدمة كتابه المحلي<sup>(11)</sup>، ومما يؤيد اضطرابه في ذلك أنه يقعد أنفاً في الإثبات لصفات الأفعال دون كيفية، ولكنه في موضع آخر يؤول ويحرف بلا دليل لما تكلم على صفة الكلام وزعم أن القرآن مخلوق وكلام الله خلق في الشجرة !! كما سيأتي.

### الكلام على أحوال الأشعرية وطفرة النظام

3. سورة آل عمران الآية (54)

4. سورة الطارق الآية (16)

5. انظر المحلي 30/1

6. انظر معارج القبول 118/1

5. انظر الفصل 325/2 ، 341 - 344

6. سورة البقرة الآية(22)

2. سورة البقرة الآية (210)

3. رواه أحمد في المسند/ 388 ، رقم: 3673 ، وأبو يعلى في مسنده 219/95 ، رقم: 5319 ، والحاكم في المستدرک 97/1 ، رقم: 71 ، والترمذي في

سننه 693/4 ، رقم: 2560 ، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره.. ، وأبو داود في سننه 236/4 رقم: 4744 ، باب في خلق الجنة والنار

4. الفصل 1/ 255

10. انظر المحلي 30/1 ، 33

11. انظر المصدر السابق 29/1

لم يغفل ابن حزم في كلامه على عقائد الفرق أن يستقصي دقائقها ويحلل مبهمها ويكشف خفيها في لفظ واضح جلي وكان يعلق على كل ذلك عقلاً ، مستخفاً مزدرياً قائلها منتقداً معتقها ومن جملة ذلك أحوال الأشعرية وطفرة النظام التي شاع عند أهل العلم أنها من المستحيلات.

«قال أبو محمد: وأما الأحوال التي ادعتها الأشعرية فإنهم قالوا : إن هاهنا أحوالاً ليست حقاً ولا باطلاً ، ولا هي مخلوقة ولا هي غير مخلوقة - ولا هي موجودة ولا هي معدومة ، ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ، ولا هي لا أشياء. وقالوا : من هذا علم العالم بأن له علماً ، ووجوده لوجوده» (1)

ثم استعرض قولهم كاملاً وألزمهم إزامات تؤدي إلى الكبائر والإلحاد ، وقال: « قال أبو محمد رضي الله عنه أفكار السوء إذا ظن صاحبها أنه يدقق فيها فهي أضر عليه ؛ لأنها تخرجه إلى التخليط الذي ينسبونه إلى السوفسطائية وإلى الهذيان المحض ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

قال أبو محمد : الكلام في هذا أبين من أن يشكل على عامي فكيف على فهم ، فكيف على عالم ؟ والحمد لله» (2) وأعقب هذا رداً مطولاً لا يسعنا ذكره واستقصاؤه.

أما كلامه على طفرة النظام فلا يخرج عن أسلوبه المقنع المتقدم بالإشارات العقلية في سياق الرد فيقول : «قال أبو محمد : نسب قوم من المتكلمين إلى إبراهيم النظام أنه قال: إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها المار ولا مر عليها، ولا حاذها ولا حل فيها. قال أبو محمد: وهذا عين المحال والتخليط» (3)

### ابن حزم والأشعرية والمعتزلة

من البديهي لمن اطلع على كتب ورسائل ابن حزم معاداته للأشعرية والمعتزلة ، ولا سيما رموزها وهجومه على هذه الرموز وتسفيه أحلامها وانتقاداتها لاذعاً ومن ذلك:

رسالة انتقد فيها بعض المسائل العقديّة عليهم ، أرسلها إلى أحد علماء الأندلس وقال في سياق ذلك: «ولنا في هذا رسالة مستقصاة كتبنا بها إلى أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وسنذكر منها هنا إن شاء الله تعالى ما فيه كفاية في كلامنا مع المعتزلة والأشعرية في خلق القرآن من ديواننا هذا» (4). وفي رده على النصاري لما زعموا أن علم الله وحياته غير الله أكفرهم بذلك وعاد إلى الأشعرية وألزمهم بما ألزم به النصاري وقال :

« وهذا يلزم الأشعرية الذين يقولون بأن علم الله تعالى وقدرته هما غير الله. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً » (5) ولما استعرض صفة الإرادة ونفي الباقلائي وتأويله للرضى والمحبة قال :

« وقال الباقلائي في كتابه المعروف (بالانتصار في القرآن): معنى قول الله تعالى : «ولا يرضى لعباده الكفر» (6) وقوله تعالى: « لا يحب الفساد » (7) إنما معناه لا يحب الفساد لأهل الصلاح ، ولا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا ، ولم يرد أنه لا يرضاه لأحد من خلقه ولا يحبه لأحد منهم ، ثم قال: وإن كان قد أحب ذلك ورضيه لأهل الكفر والفساد. قال أبو محمد: وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ، ثم أيضا أخبر بأن الكفار فعلوا من الكفر أمراً رضيه الله تعالى منهم، وأحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم» (8)

ثم استنرد وقال له من الألفاظ المقدعة الكثير، كقوله: «واعجبوا لظلمة جهله» ، وقوله: «هنا صرح بالشك في قدرة الله.. كما يقول أبو الهذيل العلاف أخوه في الكفر والضلالة» ، وخطأ الفريقين في هذا أنهم لم يفرقوا بين الرضا الكوني المتحقق الوقوع والرضا الشرعي الذي هو بمعنى المحبة والذي قد يقع وقد لا يقع ، كما قال أهل السنة والجماعة.

1. الفصل 165/5

2. المصدر السابق 165/5، 166 - 185

3. المصدر السابق 189/5

4. الفصل 188/1

2. المصدر السابق 122/1

3. سورة الزمر الآية (7)

4. سورة المائدة الآية (64)

8. الفصل 90/5

ومن ذلك :

مهاجمة السمناني وشيوخه الأشعرية لما تكلم على حديث « على صورته »  
« قال أبو محمد: هذا نص كلامه حرفاً حرفاً ، وهذا كفر صريح ، وشرك بواح؛ إذ صرح بأن آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما ، فالله تعالى وأدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ، ثم لم يقتنع بهذه السوءة حتى صرح بأن سجود الملائكة لأدم كسجودهم لله ﷻ»<sup>(1)</sup>.  
ثم تعقب بعض أقوالهم في الصفات وشبههم وأقوالهم بأقوال اليهود في ألفاظ مقذعة في سياق السخرية وتسفيه الآراء ومن ذلك :

مهاجمة ابن فورك والسمناني والباقلاني لما تكلم على بعض الصفات ومنها، العلم ، قال:  
«قال أبو محمد : وما كنا نصدق أن من ينتمى إلى الإسلام يأتي بهذا الكفر لولا أنا شاهدناهم ، وناظرناهم ورأينا ذلك صراحاً في كتبهم ، ككتاب السمناني قاضي الموصل في عصرنا هذا ، وهو من أكابرهم ، وفي كتاب المجالس للأشعري وفي كتب لهم آخر . قال أبو محمد: والعجب من هذا كله تصريح الباقلاني ، وابن فورك في كتبهما في الأصول وغيرها أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد ، وهذه حماقة ممزوجة بكفر»<sup>(2)</sup>  
ثم تعقبهم في صفحات وأسدَى لهم ألفاظاً مقذعة أخرى ومن ذلك : وصفه لبعض أقوال الأشعرية بقوله: «ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجوه..»

ومن ذلك : انتقاده للأشعري لما تكلم على بعض الصفات كالاستواء والتكليم والبقاء والعينين ، وقال : « ورأيت للأشعري في كتابه المعروف بالموجز : أن الله تعالى إذ قال : ﴿ إنك بأعيننا ﴾<sup>(3)</sup> ، إنما أراد عينين وبالجملة فكل من لم يخف الله ﷻ فيما يقول ، ولم يستح من الباطل لم يبال بما يقول»<sup>(4)</sup>  
وفي سياق الكلام على العلم ، انتقد المعتزلة ورموزها كالعلاف وابن مسرة الفوطي وجهم بن صفوان ، وحكم بضلالهم ، وعلى أقوالهم بأنها شرك مجرد وإبطال للتوحيد<sup>(5)</sup>

### صفة الكلام

اضطرب ابن حزم -رحمه الله - في إثبات الكلام ونفيه ، فتارة يثبت وتارة ينفيه ، ففي مقدمة محلاة تكلم على العقائد كلاماً حسناً ومن جملته لما تكلم على صفة الكلام وأثبت هذه الصفة وقال : « مسألة : والقرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق»<sup>(6)</sup>  
وعنده في الفصل أثناء كلامه على مقالات الفرق في العقائد استعرض أقوالها ومن جملة ذلك قول أهل السنة فقال: « وقال أهل السنة : إن كلام الله هو علمه لم يزل ، وهو غير مخلوق ، وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وغيره..»<sup>(7)</sup>  
واستطرد في الرد على الأشعرية في قولهم إن كلام الله غير الله ، وأنه معنى واحد قائم بالنفس ، واعتبره رأياً خسيساً وكفراً مجرداً بلا تأويل ، وأثبت أن الله تعالى تكلم حقيقة مع موسى ، وأن علم الله تعالى هو كلامه ، وأنه لا يجوز أن يقال إن الله تعالى متكلم لأنه لم يسم بذلك نفسه<sup>(8)</sup>

ثم نقض هذا القول في بداية كلامه في الرد على النصارى لما استشهدوا بالقرآن على أن الكلام مخلوق ليدللوا على أن الكلمة " عيسى " مخلوقة

قال ابن حزم :

«فإن قالوا : ما تقولون فيما في كتابكم : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابٍ ﴾<sup>(9)</sup> وأنه تعالى كلم موسى من جانب الطور من الشجرة من شاطئ الوادي<sup>(10)</sup>

1- الفصل 78/5 ، وانظر كذلك 351/2

2- الفصل 304/2

3- سورة الطور الآية (48)

4- الفصل 322/2 ، وللاستزادة انظر 12/3 ، 351 /2 ، 144/1

5- الفصل 302-293-2

6- المحلى 32/1

7- الفصل 11/3

8- انظر المصدر السابق 17-11/3

9- سورة الشورى الآية (51)

10- من سورة طه الآية (12)

قلنا: التكليم فعل الله تعالى مخلوق؟!، والحجاب إنما هو المتكلم؟ ، والتكليم هو الذي حدث في الشجرة وشاطئ الوادي وجانب الطور، وكل ذلك مخلوق محدث، وكذلك تحول جبريل عليه السلام في صورة دحية، إنما هو أن الله تعالى جعل الملائكة والجن قوى يتحولون فيما شأؤوا من الصور، وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الأعراض بخلاف الله تعالى في ذلك»<sup>(1)</sup>.

قلت: وفي كلام الإمام ابن حزم من المخالفة للنص الصحيح والعقل الصريح ما لا يخفى. وقد ذهب يدافع عن توحيد الصفات ويرد على النصارى فوافقهم في قولهم من حيث لا يشعر والله يغفر له. حيث زعم أن الكلام مخلوق كما زعمت النصارى، والذي أورد ابن حزم في هذا تكلمه في الرد عليهم بالجواهر والعرض، وعلم الكلام والفلسفة، مضاهاة لقول الجهمية الضلال. إذ سلكوا هذا المسلك وتركوا كتاب الله وسنة نبيه خلف ظهورهم.

والذي عليه الدليل الصحيح والعقل الصريح هو مذهب سلف الأمة الواضح الفصيح وهو: أن الكلام صفة من صفات الله تعالى، وليس شيء من صفاته مخلوق، وهو يتكلم حقيقة بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كل ذلك كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى. وكان الأولى بإمامنا ابن حزم أن يرد عليهم في هذه الشبهة الأخيرة بما رد به أئمة الإسلام من أهل السنة والجماعة عندما طرحها عليهم المعطلة، حيث قالوا: ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾<sup>(2)</sup> على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها.

وما أفسده من استدلال. إذ عموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها فإن الله تعالى قال: ﴿فلما أتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن﴾ ، والنداء : هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال تعالى: ﴿في البقعة المباركة من الشجرة﴾ أي أن النداء كان في البقعة المباركة من الشجرة، كما تقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون " من البيت" لابتناء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾<sup>(3)</sup>. وهل قال إني أنا الله رب العالمين غير رب العالمين؟ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(4)</sup>، صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله<sup>(5)</sup>.

ولعلنا نحمل هذا الاضطراب في قول ابن حزم في كلام الرحمن أن في كلامه ما يوافق منهج السلف وفيه ما يخالفه في مسألة كلام الله، أو أن قوله بخلق الكلام هو القول الأول المرجوح لديه، وأن إثباته على الوجه الصحيح على اعتقاد أهل السنة والجماعة هو القول الأخير له والراجح لديه، والله أعلم.

### صفة العلو

يثبت ابن حزم صفة العلو ويستدل عليها بأدلة من الكتاب والسنة، ويمر عليها دون تعليق إلى إثبات كروية الأرض والكلام على الأفلاك والعرش والكرسي وإحاطة الكرسي بالسموات والأرض<sup>(6)</sup> وهذا مما لفت الانتباه فابن حزم لا يهاب أن يتكلم في أي مسألة علمية مهما تكن إن كان مقتنعاً بها، ولكن لعله رأى ههنا أن العلو مسألة مسلمة فلم يطل الكلام فيها والله أعلم.

### صفتا الحياة والعلم

يثبت ابن حزم الحياة والعلم لله تعالى، وينافح عن ذلك ويرد على من انحرف فيها وهي المسائل الأولى الهامة التي استهجنها الإمام ابن حزم ونقم على النصارى في شركهم وضلالهم فيها قولهم: إن صفات الله هي مخلوقاته، فحياته روح القدس، وعلمه هو الابن عيسى ابن مريم.

«قال أبو محمد عليه السلام: وقد لفق بعضهم أشياء لا معنى لها، إلا أننا ننبيه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته، وذلك أن بعضهم قال: لما وجب أن يكون البارئ تعالى حياً، وعالماً، وجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الابن.

1. الفصل 129/1

2. سورة القصص الآية (30)

3. سورة القصص الآية (30)

4. سورة النازعات الآية (24)

5. انظر شرح قصيدة ابن القيم 64/1 ، 263 ، وشرح العقيدة الطحاوية ، ص182

6. انظر الفصل 2 / 247

قال أبو محمد: وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج، لأننا قد قدمنا أن البارئ تعالى: لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصح لهم دليل -لا من إنجيلهم ولا من غيره من الكتب- أن العلم يسمى ابناً ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه»<sup>(1)</sup>.

ويرد عليهم - لما قالوا إن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه: إنه ابنه قائلاً: «قال أبو محمد: وهذا باطل ظاهر الكذب؛ لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبّر عن معاني تلك الألفاظ العبرانية، وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادعى»<sup>(2)</sup>.

وبجادلهم ابن حزم إغفالهم صفات السمع والبصر والقدرة، وجعلهم كل صفة هي الأخرى... ويضيف إلى قوله الأنف في تحول الصفات لمخلوقات: «فإن كان الابن هو العلم، وروح القدس هو الحياة، فما بال إقحامهم المسيح ﷺ في أنه الابن وروح القدس. أتري المسيح هو حياة الله وعلمه؟ وما بال قول بعضهم إن مريم ولدت ابن الله؟ أتراها ولدت علم الله؟! أليكون في التخليط أكثر من هذا، وهل حظ المسيح من علم الله وحياته إلا كحظ غيره ولا فرق. وهذا لا مخلص منه. وبالله التوفيق»<sup>(3)</sup>.

وبعد جدل عقلي طويل في اعتقاد فرق النصارى في الاتحاد والحلول واختلافهم حول هذا الاتحاد، يعود إلى جدالهم في أصل ضلالهم في الصفات بل والألوهية ألا وهو ضلالهم في صفة الكلام.

### صفات المجئ والإتيان

يؤول ابن حزم هذه الصفات ويصرّفها عن حقيقتها وظاهرها في سياق رده على الضالين ومقالاتهم، ويخالف ظاهر النص زاعماً أنه على الجادة في ظاهر النص. قال رحمه الله: «ذلك أن الذي في القرآن ظاهر لا يحتاج فيه إلى تأويل، فمعنى «وجاء ربك» و«يأتيهم الله» وهو أمر معلوم في اللغة التي نزل بها القرآن، مشهور فيما تقول: جاء الملك وأتانا الملك، وإنما أتى جيشه وسطوته وأمره»<sup>(4)</sup>.

وهذا من أعجب ما يكون في تناقض الإمام ابن حزم في تأويل وصرف ظاهر النص إلى آخر مؤول، وقد قدمنا قبل صفحات إثباته لصفة النزول والمجئ والإتيان بنصه في المجلد الأول في كتابه القيم (المحلى)، ثم خالف في هذا المجلد الثاني ما خطه بيمينه، حيث قال بعد ذكر أدلتها: «.. لأن كل هذا على ظاهره بلا تكلف تأويل، إنما هي أفعال يفعلها الله ﷻ تسمى مجئاً وإتياناً وتنزلاً»<sup>(5)</sup>.

فها هنا إثبات واستدلال على هذه وأخذ بظاهر النص، وهناك نفي وتأويل، فهل هذا خطأ علمي محض منه، أم هذا قول قديم له، وإثبات للحديث من قوله، أم غير ذلك؟؟ فالله أعلم.

### صفات العلم، القدرة، العزة

وهي صفات ثابتة بالكتاب والسنة ويثبتها ابن حزم ويستدل عليها بالأدلة الشرعية..<sup>(6)</sup>

### صفات الوجه، واليد، والعين، والقدم، والأصابع

أثبت أبو محمد صفة الوجه، وأن وجه الله ليس هو غير الله، أما اليد والعين فيثبتها على أنها يد ويدين وأيد، وعيناً وأعيناً، ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك. وهاجم الأشعرية والمعتزلة في تأويلهم اليد واليدين بالقدرة أو النعمة، أما القدم والرجل فيؤولها ولا يثبتها فالقدم عنده: «يريد بها سالف صدق، فمعناه الأمة التي تتقدم في علمه تعالى أنه

1. المصدر السابق 113/1

2. المصدر السابق 113/1

3. المصدر نفسه 114/1

4. الفصل 209/2

5. المصدر السابق 1/255، وانظر المحلى 30/1

6. انظر المحلى 1/32، 33

يملاً بها جهنم ، ومعنى رجله مثل ذلك ؛ لأن الرجل: الجماعة في اللغة أي يضع فيها الجماعة التي سبق في علمه أنه يملأ جهنم بها «

وهذا من أعجب ما قرأته في التأويلات المرجوحة الفاسدة والأصابع عنده في الحديث أصبعين ، أي بين تدبيرين ونعمتين (1) وهكذا يمضى ابن حزم في منهجه ، فتارة يثبت الصفة على ظاهرها في النص وتارة ينفيها ويؤولها ويقع فيما ينتقد الآخرين فيه ويشنع عليهم ، فليس له قاعدة واحدة يسير عليها.

### نظرة في منهجية ابن حزم

لا يبدو ابن حزم على منهجية واحدة في كتبه في مسائل الصفات ، وهو يثبت بعضاً ويؤول وينكر أكثرها مع أخذه بظاهر النصوص يبدو باطنياً مفرطاً ، وهذا من اضطرابه في الأخذ بمذهبه.. فهو صاحب بدوات ، إن بدا له الأمر أخذ به ، وإن بدا له غير رأيه وشنع على مخالفه ، يرحمه الله.

وقد تكلم العلماء قديماً على منهجيته رحمه الله ، وأوضحوا جوانب الإيجاب والنقص فيها ، وسبحان من له الكمال ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معانيه، قال ابن تيمية مبيناً جانباً من سيرته المنهجية في سياق الكلام على شخصيته العملية : «...والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترويج وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء ، وتعظيم أئمة الأمة وعوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال أكثر من أن يذكر هنا» (2)

كما عده ابن تيمية من كبار علماء الحديث أهل البصر والمعرفة به ، وذكره في مصاف أهله فقال: « والحديث نفسه ليس في الصحيحين بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيره ولكن قد رواه أهل السنن كأبي داود والترمذي وابن ماجه» (3) وقال: « وكذلك أمر الذي رآه يصلي خلف الصف وحده أن يعيد وقال لا صلاة لغيره خلف الصف وقد صححه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث » (4)

أما تحبط ابن حزم في الصفات فهو كثير وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شيئاً من ذلك في كلامه على العقائد والصفات فقال: « السؤال وكلاهما يرجع إلى ما تزعمه المتفلسفة من أن الصفات ترجع إلى العلم إذا أثبتوه وقد يقرب من هؤلاء ابن حزم حيث رد الكلام والسمع والبصر» (5)

وقال في موضع آخر: « قالوا لأن من الإثبات تشبيها بما تثبت له هذه الصفات وفي النفي تشبيهه له بما ينفي عنه هذه الصفات وقد قاربهم في ذلك من قال من متكلمة الظاهرية كابن حزم أن أسماء الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة ، وقال لا فرق بين الحي وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلاً ، ومعلوم أن مثل هذه المقالات سفسطة في العقلية وقرمطة في السمعيات ، فإننا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والقدير والعليم والملك والقدوس » (6)

وقال مبيناً عدم استقرار ابن حزم والظاهرية عموماً على وتيرة واحدة في العقائد: « وأبو حامد تارة يثبت الصفات العقلية متابعة للأشعري وأصحابه وتارة ينفيها أو يردّها إلى العلم موافقة للمتفلسفة وتارة يقف ، وهو آخر أحواله ثم يعتصم بالسنة ويشنغل بالحديث ، وعلى ذلك مات ، وكذلك أبو محمد بن حزم مع معرفته بالحديث وانتصاره» (7)

وقال فيه: «... لطريقة داود وأمثاله من نفاة القياس أصحاب الظاهر قد بالغ في نفي الصفات وردّها إلى العلم مع أنه لا يثبت علماً هو صفة ، ويزعم أن أسماء الله كالعليم والقدير ونحوهما لا تدل على العلم والقدرة ، وينتسب إلى الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة ويدعي أن قوله هو قول أهل السنة والحديث ويذم الأشعري وأصحابه ذمّاً عظيماً ويدعي أنهم خرجوا عن مذهب السنة والحديث في الصفات ، ومن المعلوم الذي لا يمكن مدافعتة أن مذهب الأشعري وأصحابه في مسائل الصفات أقرب إلى مذهب أهل السنة والحديث من مذهب ابن حزم وأمثاله في ذلك» (8)

1. انظر الفصل 347/2 - 351

2. مجموع الفتاوى 20/4

3. منهاج السنة 456/3

4. منهاج السنة 202/5

5. جامع الرسائل (سؤال عن يقول إن صفات الرب..) 170/1

6. العقيدة الأصفهانية 106/1

7. درء تعارض العقل والنقل 249/5

8. المصدر السابق 250/5



إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الوفيرة التي تبين منهج هذا الإمام الكبير ، ولولا الإطالة لأوردت جملة منها ، وفيما ذكرناه كفاية والله المستعان.

## الفصل الرابع

### الإمام الشاطبي<sup>(1)</sup> ومنهجه في الصفات

يثبت الإمام الشاطبي الصفات جملة ويميل إلى التنزيه ويحذر من أن يرمى بالتشبيه ، ولذا تجده يشير إلى مذهب أهل السنة والجماعة فتحسبه منهم ، ويشير إلى مذهب الأشعرية فتحسبه منهم ، وهو الأرجح وسنورد ما تكلم عليه في الصفات. ومن ذلك:

### صفة الكلام:

لما تكلم الشاطبي رحمه الله على هذه الصفة والصفات عموماً مال إلى التنزيه وإلى إثباتها إجمالاً وذكر أن عقيدته هي القول بالكلام النفسي وأنه معنى واحد ، ويقول في سياق الكلام على خوارق العادات :  
« والثامن : كلام البارئ تعالى إنما نفاه من نفاه ووقفاً مع الكلام الملازم للصوت والحرف ، وهي في حق البارئ محال ، ولم يقف مع إمكان أن يكون كلامه تعالى خارجاً عن مشابهة المعتاد على وجه صحيح لائق بالرب ، إذ لا ينحصر الكلام فيه عقلاً ، ولا يجزم العقل بأن الكلام إذا كان على غير الوجه المعتاد محال ، فكان من حقه الوقوف مع ظاهر الأخبار مجرداً.  
والتاسع: إثبات الصفات كالكلام ، إنما نفاه من نفاه للزوم التركيب عنده في ذات البارئ تعالى ، على القول بإثباتها ، فلا يمكن أن يكون واحداً مع إثباتها ، وهذا قطع من العقل الذي ثبت قصور إدراكه في المخلوقات ، فكيف لا يثبت قصوره في إدراكه إذا ادعى من التركيب بالنسبة إلى صفات البارئ.

فكان من الصواب في حقه أن يثبت من الصفات ما أثبتته الله لنفسه ، ويقر مع ذلك بالوحدانية له على الإطلاق والعموم »<sup>(2)</sup>  
وهذا في الحقيقة تصريح بمذهب الأشعرية في الكلام. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قوله في موضع آخر :  
« وأما تركهم لمعاني الخطاب : فإن العرب لا تفهم من قوله: «السميع البصير» «السميع العليم» أو «القدير» ، وما أشبه ذلك ، إلا من له سمع وبصر ، وعلم وقدرة اتصف بها ، فأخرجها عن حقائق معانيها التي نزل القرآن بها خروج عن أم الكتاب إلى اتباع ما تشابه منه من غير حاجة.

وأما كون الكلام هو الأصوات والحروف ، فبناء على عدم النظر في الكلام النفسي ، وهو مذكور في الأصول»<sup>(3)</sup>  
وفي موافقاته صرح بالكلام النفسي القديم الواحد الذي لا يتعدد وركن إلى علم الكلام وقال: «وهل للقرآن مأخذ في النظر على أن جميع سوره كلام واحد بحسب خطاب العباد ، لا بحسبه في نفسه؟ فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار حسبما تبين في علم الكلام »<sup>(4)</sup>

وقال أيضاً :

« كتاب الله تعالى هو أصل الأصول والغاية التي تنتهي إليه أنظار النظار.

ومدارك أهل الاجتهاد ، وليس وراءه مرمى ، لأنه كلام الله القديم»<sup>(5)</sup>

ولم نجد للشاطبي كلاماً غير هذا ، ولم يثبت -رحمه الله- إلا أنه كلام قديم لا يتجزأ وهو معنى قائم بالنفس ، ولم يثبت ما أثبتته أهل السنة والجماعة أن الله تعالى متكلم كلاماً على الحقيقة بلا كيف يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء سبحانه تعالى ، وهذا من هناته يرحمه الله.

1. هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي ، الشهير بالشاطبي العلامة المؤلف المحقق أحد الجهابذة، كان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف ، أحد العلماء الأثبات وأكبر الأئمة الثقات، الفقيه الأصولي المفسر المحدث ، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة ، مع العفة والصلاح والورع واتباع السنة واجتنب البدع ، أخذ عن كثير من أهل العلم ، وعنه الكثير منهم ، له كتب كثيرة ومصنفات جليلة كالموافقات والاعتصام والحوادث والبدع وغيرها ، توفي سنة (790هـ). انظر (شجرة النور الزكية ، ص 231) ، (نيل الابتهاج ، ص 75)

2. الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي 330/2 - 331 ، مكتبة الرياض الحديثة ، تحقيق: محمد رشيد رضا

3. المصدر السابق 1/ 241

4. الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي 224/3 ، دار المعرفة ، بيروت ، ت : عبد الله دراز ، محمد عبدالله دراز

5. المصدر السابق 3/ 224

## صفة العلو والفوقية

أثبت الشاطبي صفة علو القهر والغلبة والشأن، وتأول علوه تعالى فوق سماواته على عرشه بذاته ، وحاول التأويل والفرار من إثبات الجهة لنلا يلزمه القول بأن الجهات تحوزه -ولم يصب الحق في ذلك- ومن ذلك ما ذكره في ما يلزم المفسر لآيات الكتاب الكريم :

«ولا بد من ذكر أمثلة تعين على فهم المراد ، وإن كان مفهوماً، قوله تعالى : «يخافون ربهم من فوقهم»<sup>(1)</sup> «أمنتم من في السماء»<sup>(2)</sup> وأشبه ذلك ، إنما جرى على معتادهم في اتخاذ الألهة في الأرض وإن كانوا مقرين بالهية الواحد الحق، فجاءت الآيات بتعيين الفوق وتخصيصه تنبيهاً على نفي ما ادعوه في الأرض ، فلا يكون فيه دليل على إثبات جهة ألبتة ، ولذلك قال تعالى : « فخر عليهم السقف من فوقهم»<sup>(3)</sup> ، فتأمله ، واجر على هذا المجرى في سائر الآيات والأحاديث»<sup>(4)</sup>

## صفة الاستواء على العرش

بناء على ما ذكرناه آنفاً في تأويل الشاطبي لصفة العلو وظنه أنه نزه الله بذلك ، حاول أن يسلك مذهب التفويض الذي يقول به السلف الصالح والإمساك عن الخوص في الغيبات :

«وأما مسائل الخلاف وإن كثرت فليست من المتشابهات بإطلاق، بل فيها ما هو منها ، وهو نادر ، كالخلاف الواقع فيما أمسك عنه السلف الصالح ، فلم يتكلموا فيه بغير التسليم له والإيمان بغيبية المحبوب أمره عن العباد ، كمسائل الاستواء ، وأشبه ذلك ، وحين سلك الأولون فيها مسلك التسليم ، وترك الخوض في معانيها دل على أن ذلك هو الحكم عندهم فيها ، وهو ظاهر القرآن ؛ لأن الكلام فيما لا يحاط به جهل ، ولا تكليف يتعلق بمعناها»<sup>(5)</sup>

وفي موضع آخر يوضح عقيدته في الاستواء ويقول :

«المراد أن لا يتعلق تكليف بمعناه المراد عند الله تعالى ، وقد يتعلق به التكليف من حيث هو مجمل ، وذلك بأن يؤمن أنه من عند الله ، وبأن يجتنب فعله إن كان من أفعال العباد ، ويجتنب النظر فيه إن كان غير أفعال العباد ، كقوله : «الرحمن على العرش استوى»<sup>(6)</sup>

وأشبه ذلك ، هذا معنى أنه لا يتعلق به تكليف ، وإلا فالتكليف متعلق بكل موجود ، من حيث يعتقد على ما هو عليه ، أو يتصرف فيه إن صح تصرف العباد فيه إلى غير ذلك من وجوه النظر»<sup>(7)</sup>

## صفة الرؤية

أثبت الإمام الشاطبي رؤية الباري تعالى في الآخرة<sup>(8)</sup>، وشدد على تنزيه الباري تعالى ، ومال إلى مذهب الأشعرية أنه يرى لا في جهة أو غير ذلك «...رؤية الله في الآخرة جائزة ، إذ لا دليل في العقل يدل على أنه لا رؤية إلا على الوجه المعتاد عندنا ، إذ يمكن أن تصح الرؤية على أوجه صحيحة ، ليس فيها اتصال أشعة ولا مقابلة ، ولا تصور جهة ، ولا فضل جسم شفاف ، ولا غير ذلك ، ولا عقل لا يجزم بامتناع ذلك بديهية ، وهو إلى القصور في النظر أميل ، والشرع قد جاء بإثباتها فلا معدل عن التصديق»<sup>(9)</sup>

## صفات النزول، والضحك ، واليد ، القدم ، والوجه

1. سورة النحل الآية ( 50 )
2. سورة الملك الآية ( 16 )
3. سورة النحل الآية ( 26 )
4. الموافقات في أصول الشريعة 351/3
5. المصدر السابق 94/3
6. سورة طه الآية ( 5 )
7. المصدر السابق 344/3
8. انظر الموافقات في أصول الشريعة 19/3 ، 20
9. الاعتصام 330/2

والقول فيها عند الشاطبي كسوابقها يثبتها إجمالاً ويمسك عن الخوض في معانيها ويقول إن ذلك مذهب السلف ، ويفر من إثباتها على حقيقتها خوفاً من أن يرمى بالتجسيم أو يتعدى ويجسم ، ويقول ما أوردها أنفاً في الاستواء :

« وأما مسائل الخلاف وإن كثرت فليست من المتشابهات بإطلاق، بل فيها ما هو منها ، وهو نادر ، كالخلاف الواقع فيما أمسك عنه السلف الصالح ، فلم يتكلموا فيه بغير التسليم له والإيمان بغيبه المحجوب أمره عن العباد ، كمسائل الاستواء ، وأشبه ذلك ، وحين سلك الأولون فيها مسلك التسليم ، وترك الخوض في معانيها دل على أن ذلك هو الحكم عندهم فيها ، وهو ظاهر القرآن ، لأن الكلام فيما لا يحاط به جهل ، ولا تكليف يتعلق بمعناها»<sup>(1)</sup>. وله في فتاواه كلام حسن في شرح حديث «كنت سمعته الذي يسمع به»<sup>(2)</sup>، لا يخرج عن تأويل وتفسير أهل السنة ، ويقول مشنعاً على من سماهم الظاهرية الذين يثبتون : «ومثاله في ملة الإسلام : مذهب الظاهرية في إثبات الجوارح للرب المنزه عن النقائص من العين واليد والرجل والوجه ، والمحسوسات ، والجهة وغير ذلك من الثابت للمحدثات»<sup>(3)</sup> ولم يوضح الشاطبي من يقصد بالظاهرية الذي عناهم هل هم المجسمة الذين يجسمون الباري أم هم أهل السنة والجماعة الذين يثبتون هذه الصفات لله تعالى حقيقة بلا كيفية.

### نظرة في منهجية الشاطبي

حاول الشاطبي إثبات الصفات جملة دون الخوض في معانيها ، ولكنه تأول كثيراً منها موافقة لقول الأشعرية ، كما أنتقد من أثبت الصفات ونعتهم بالظاهرية.

وهو بهذا يتأرجح بين قول أهل السنة والجماعة وبين قول الأشعرية وهو في باب الصفات أقرب إليهم. وقربه من قول أهل السنة والجماعة قوله بوجوب التسليم للنصوص الشرعية بما ورد عن الصفات بلا كيف ، وقربه من قول الأشعرية تأويل الصفات على مذهبهم. وهذا حال كثير من علماء الأندلس رحمهم الله وعفا عنهم

### الفصل الخامس

#### القرطبي المفسر<sup>(4)</sup> ومنهجه في الصفات

تكلم الإمام القرطبي كلاماً مطولاً عن الأسماء والصفات في تفسيره في مواضع كثيرة.

#### الأسماء الحسنى

1. الموافقات في أصول الشريعة 94/3  
 2. انظر فتاوى الإمام الشاطبي ، ص 178 ، 179 ت : محمد أبو الأجنان ، الطبعة الثانية 1405 هـ - 1986  
 3. الموافقات 240/1  
 4. هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، وفرح بسكون الراء ، الأنصاري الخزرجي المالكي. قال المقرئزي كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة.. وفي تاريخ الكتبي: كان شيخاً فاضلاً، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور علمه ، ومنها (تفسير القرآن). مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلداً»  
 سمع الإمام القرطبي شيخه الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، صاحب المفهم في شرح مسلم، وحدث عن الحافظ أبي الحسن علي بن محمد اليحصبي، وعن الحافظ أبي علي الحسن البكري وغيرهما  
 وقال عنه الذهبي: «إمام متقن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور عقله وفضله» ، أما أهم مصنفاته ، فهي كثيرة ومنها: الجامع لأحكام القرآن (في التفسير) ، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، التذكرة في أمور الآخرة ، التذكار في أفضل الأذكار ، وغيرها من المصنفات. توفي رحمه الله بمدينة ابن خضيب ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة (681هـ) ودفن بها.  
 انظر (نوح الطيب 210/2 ، الدبياج المذهب 317/1) ، (طبقات المفسرين ، للحافظ سمش الدين محمد بن علي ، ص92 ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة (مصر) ، ط. الأولى 1392 هـ - 1972م) (طبقات المفسرين ، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، 246/1 ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة (القاهرة) ط. الأولى 1396 هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي 383،390/1 ، دار الكتب العلمية (بيروت) 1413 هـ (1992م)

فالأسماء يثبتها حسب ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكثيراً ما يذكر في مواضع تفسيره أنه ألف كتاب سماه (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)<sup>(1)</sup>، وهو مخطوط جيد لم يطبع بعد ، وقد سمعت أنه قيد التحقيق لدى بعض الباحثين من طلبة العلم نسأل الله له التوفيق والسداد.

وذكر القرطبي في سياق تصحيح قول ابن الخصال لما انتقد ابن العربي وابن برجان وهما من علماء الأندلس أن ابن العربي أدخل في الأسماء ، متم نوره ، وخير الوارثين وخير الماكرين ، وأن ابن العربي قلد ابن برجان في أنه ذكر من الأسماء النظيف وغيره مما لم يرد في كتاب ولا سنة ، وصحح القرطبي ما قاله ابن الخصال واستدل أن النظيف والطيب من الأسماء الحسنى واستدل عليه من السنة في مسلم والترمذي وعزاه إلى كتاب الأسنى<sup>(2)</sup>

### حكم الحلف بالأسماء الحسنى والصفات

يستدل القرطبي على جواز الحلف بالأسماء الحسنى والصفات العلاء بقوله: ﷺ «وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها»<sup>(3)</sup>، ويقول: «لا ومقلب القلوب»<sup>(4)</sup>، فيجوز الحلف بالأسماء كالرحمن والرحيم والسميع والحليم والصفات كعزته وقدرته وعظمته<sup>(5)</sup>

### الصفات

يثبت القرطبي الصفات جملة ويعددها في تفسير تارة يذكرها بأنها من صفات الذات وتارة أنها من صفات الفعل<sup>(6)</sup>، وهو يفارق أصول الأشعرية فيثبت جملة من الصفات أو أكثر فيقول عن ذلك : «من صفات الله تعالى العطوف الرحيم»<sup>(7)</sup>، وقوله عن صفة الملك: « وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله»<sup>(8)</sup>، وتارة يقرب منهم فيؤول الصفات ويصرفها عن حقيقتها إلى معان أخرى يتأولها، وهو أشعري العقيدة في كثير من المواضع ، وتارة ينتى على علمائها ويصفهم بالمحققين. قال في صفة الوجه: «وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم»<sup>(9)</sup>، وربما وصفهم بأشياخنا<sup>(10)</sup>، ولكنه لا يثبت سبعاً فقط وينص عليها كما تفعل كثير من الأشعرية ؛ بل يثبت الصفات ويؤول كثيراً منها.

### صفات الذات وصفات الأفعال

قسم القرطبي الصفات في تفسيره إلى قسمين : صفات ذاتية وصفات فعلية، وهذا كثير في تفسيره وهو ما يفيد مفارقتة للأشعرية في بعض أصولها ، فمن صفات الذات عنده السمع والبصر والحياة والعزة واليد والعلو ، ومن صفات الفعل عنده الغضب والمالك والحكيم (الحاكم) والإتيان<sup>(11)</sup>، إلى غير ذلك من الصفات التي ذكرها في القسمين مما يدل على قربها من السنة وتمسكه بالدليل ، وتجايفه عنها عند إثباتها ومحاولة صرفها عن ظاهر إلى معان أخرى ذهب إليها.

### صفة الكلام

1. انظر الجامع لأحكام القرآن 8/16 و17/165 وذكره في كتابه "التذكار في أفضل الأذكار" ص24 تحقيق: بشير محمد عيون ، نشر مكتبة دار البيان ، ط. الثالثة ، كما نسبه إليه المقري في نفع الطيب 211/2  
2. انظر المصدر السابق 326/7 ، 327  
3. رواه أحمد في المسند 332/2 ، رقم: 3879 ، وابن حبان في صحيحه 406/16 ، رقم: 7394  
4. والحاكم في المستدرک 97/1 ، رقم: 71 ، والترمذي في سننه 693/4 ، رقم: 2560 ، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره.. ، وأبو داود في سننه 236/4/4 ، رقم: 4744 ، باب في خلق الجنة والنار  
5. رواه البخاري 2445/6 ، رقم: 6253 ، باب كيف كان يمين النبي ﷺ ، وابن بان في صحيحه 175/10 ، رقم: 4332 ، ذكر ما كان يحلف به النبي ﷺ ، والترمذي في سننه 113 /4 ، رقم: 1540 ، باب ما جاء كيف كان يمين النبي ﷺ .  
6. انظر الجامع لأحكام القرآن 269/6  
7. انظر المصدر السابق 101/16 ، 272/17  
8. الجامع لأحكام القرآن 12 /166  
9. المصدر السابق 143/1  
10. المصدر نفسه 165 /17  
11. انظر المصدر السابق 15 /140 - 299 ، 101/16 ، 143/1 ، 187

أثبت الإمام القرطبي أن الكلام من الصفات الثابتة لله تعالى واضطرب قوله في الكلام، فتارة أثبت الكلام على منهج المتكلمين الأشعرية. فقال عن الكلام الإلهي: إنه إدراك سمع به الكلام الإلهي، وقال: «بل يجب اختصاص موسى ﷺ بإدراك كلام الله تعالى خرقاً للعادة ولو لم يقل ذلك لم يكن لموسى ﷺ اختصاص بتكليم الله إياه والرب تعالى أسمعه كلامه العزيز وخلق له علماً ضرورياً حتى علم أن ما سمعه كلام الله وأن الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين»<sup>(1)</sup>

وقال في كتابه التذكار عن الكلام العزيز: «.. وكلام الله القديم الذي هو صفته لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا سبع، ولا هو ألوف ولا آحاد، وإنما هو صفة واحدة لا ينقسم ولا يتجزأ»<sup>(2)</sup>

وفي موضع آخر أثبت صفة الكلام على منهج سلف الأمة، إثباتاً على الحقيقة بلا كيفية، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾<sup>(3)</sup>: «أي مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلاً، وإذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، ولما قال "تكليماً" وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل»<sup>(4)</sup>

وهذا الحق الذي عليه الدليل الصحيح، ولعله هو القول الأصوب في عقيدة الإمام القرطبي في الكلام مع ما حمله من تناقض ظاهر.

### صفات السمع، البصر، الرؤوف الرحيم.

يثبت رحمه الله هذه الصفات ويعدها من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى، وأن الخالق تعالى لم يزل ولا يزال متصفاً بها ﷻ<sup>(5)</sup>.

### صفة الوجه

أورد القرطبي أقوال أهل العلم في هذه الصفة الشريفة، ولم يثبت لله تعالى وجهاً يليق به، كما وصف نفسه، وإنما هو عنده عبارة عن الله، أو الوجهة أي القبلة والجهة. وذهب إلى أن الصحيح ما قاله أئمنه مثل أبي المعالي، أنه وجود الله وذاته<sup>(6)</sup>

### صفة الغضب والقوة

عند تفسير قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا﴾<sup>(7)</sup> لم يوضح عقيدته في هذه الصفة، وإنما فسرها بأقوال أهل العلم في سياق إثباتها، فهي إما صفة ذات وإما صفة فعل، واستدل عليها بأدلة من السنة توضح هذه الصفة العظيمة، وقال يرحمه الله: «عن ابن عباس أي غاظونا وأغضبونا وروي عنه علي بن أبي طلحة أي أسخطونا، قال الماوردي: ومعناها مختلف والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة والغضب إرادة الانتقام. قال القشيري: والأسف هنا بمعنى الغضب والغضب من الله إما فيكون من صفات الذات وإما فيكون من صفات الفعل وهو معنى قول الماوردي»<sup>(8)</sup>

أما القوة فأثبتها وعدها من صفات الكمال الذاتية لله تعالى<sup>(9)</sup>

### صفة الساق واليد

1- الجامع لأحكام القرآن 282 / 13 ، 283 ،  
 2- انظر التذكار في أفضل الأذكار ، ص 23 24 ، للإمام ابن فرح القرطبي ، تحقيق: بشير محمد عيون ، ط، الثالثة (بيروت) 1407 هـ 1987 دار البيان ، دار المؤيد.  
 3- سورة البقرة الآية (253)  
 4- الجامع لأحكام القرآن 6/18  
 5- انظر المصدر السابق 17/272 ، 12/166  
 6- انظر الجامع لأحكام القرآن 2/84 ، 17/165  
 7- سورة الزخرف الآية (55)  
 8- الجامع لأحكام القرآن 16/106 وانظر كذلك 1/105  
 9- انظر المصدر السابق 17/85

يتأول القرطبي صفة الساق ويعتبرها استعارة عن موضع الشدة ، ويجيب على من تساءل راداً عليه بالحديث ، ويقول: «فأما ما روي أن الله يكشف عن ساقه (1) فإنه عز وجل يتعالى عن الأعضاء والتبعيض وأن يكشف ويتغنى ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره» (2)

أما صفة اليدين فيذهب إلى أنها القدرة أو غير ذلك وهي في الآيات تدل على المباشرة بغير واسطة ، أو هما النعمة أو القوة ، فراراً من إثبات الجارحة ، كما قال (3) بعد كلام مطول يضيق المجال عن ذكره.

### صفات الاستواء النزول الإتيان

تكلم القرطبي طويلاً على صفة الاستواء ، وذكر فيها أقوال الناس ، وأبرزها عنده قول المتكلمين بتأويل الاستواء وأنه ليس في جهة ، وذكر أنه أورد فيها أربعة عشر قولاً في كتابه الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، ثم أورد القول الأبرز وما ل إليه من خلال سياق كلامه فقال :

«وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينظرون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة بإثباته لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وخص العرش بذلك ؛ لأنه أعظم مخلوقاته ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، فإنه لا تعلم حقيقته قال مالك رحمه الله الاستواء معلوم..» (4)

وهذا إثبات منه رحمه الله لصفتي الاستواء والعلو.

أما النزول والإتيان ، فيميل إلى أنهما ليسا على ظاهرهما وأن المعنى فيهما أن الله يفعل فعلاً مع خلقه يسميه نزولاً أو إتياناً وأن الله يتعالى عن الحركة والنزول والانتقال وهو في هذا يميل إلى قول المتكلمين.

وفي موضع آخر لما شرح إتيان الرب لحساب الخلق أو ضح أنه مجيء على ما يجوز أن يحمل عليه اتباعه لا على ما تحمله صفات المخلوقين (5) ، وهذا إثبات للصفة على الجملة وميل إلى تأويلها ويفهم منه النفي.

### صفة العلو

بناءً على استطراد القرطبي في نفي بعض صفات الأفعال وإثبات صفات الذات ، فإن صفة العلو من صفات ذاته ، وهو من صفات فعله تعالى ، وبناء على ذلك فإنه يثبت معاني العلو الأخرى ويؤول علو الذات خوفاً من التشبيه. وقال رحمه الله : «.. كل من في السموات والأرض وما فيها وما بينهما خلق الله تعالى وملك له ، وإذا كان ذلك كذلك ، يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو محدوداً ، ولو كان كذلك لكان محدثاً » (6)

### نظرة في منهجية القرطبي

صرح القرطبي بثنائه على متكلمي الأشعرية وأنهم أشياخة وهذا ما يفيد أنه أشعري المذهب ، ولكنه أثبت بعض الصفات التي تأولها أساطين الأشعرية ما يفيد أنه قريب من الدليل الشرعي ، وأبعد عن علم الكلام وفلسفته والمتكلمين وتخليطهم.

ومما يدل على ما ذكرناه أنفاً أن ابن تيمية رحمه الله ، أكد أن القرطبي من كبار علماء الأشعرية فقال في سياق الكلام على العقائد السلفية: « قال المعظم لأبي المعالي الناقل لكلامه أبو عبد الله القرطبي وهو من أكابر علماء الأشعرية في قول أبي المعالي هذا بعض التحامل وقد أثبتنا في هذا الكتاب معنى شرح الأسماء الحسنى فإنه ذكر الصفات في آخره من هذه الأخبار ما صح سنده وثبت نقله ومورده وأضربنا على الكثير منها استغناء عنها لعدم صحتها فليوقف على ما ذكرنا منها لنقل الأئمة الثقات لها وحديث النزول ثابت في الأمهات أخرجه الثقات » (7)

1. رواه الطبراني في المعجم الكبير 358/9 ، رقم: 9763 ، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة 521/2 ، 1203

2. الجامع لأحكام القرآن 249/18

3. انظر المصدر السابق 238/6 – 240 ، 228/15

4. الجامع الأحكام القرآن 219/7

5. انظر المصدر السابق 26/3 ، 24/13 ، 282 ، 11 ، 25

6. التذكار في أفضل الأذكار ص 22

7. الفتاوى الكبرى 292/5

وهذان شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم ينقلان كثيراً من تفسير القرطبي لا سيما العقائد السلفية التي وافق فيها الكتاب والسنة (1)، بل إن ابن تيمية يعتبر تفسيره من أكبر وأشهر التفسيرات (2) وكذلك ابن القيم (3)

ولما سئل الإمام ابن تيمية عن بعض كتب التفسير كالزمخشري والبعوي أجاب بجواب طويل منه ما ذكره عن تفسير القرطبي قال: «.. و تفسير القرطبي خير منه بكثير وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع وإن كان كل من كتب هذه الكتب لا بد أن تشتمل على ما ينقد لكن يجب العدل بينهما وإعطاء كل ذي حق حقه» (4)

## الفصل السادس

### ابن خلدون (5) ومنهجه في الصفات

تكلم ابن خلدون في مقدمته على العقائد جملة والصفات خاصة ، وأظهر على ذلك بعض الملحوظات في صفحات مختصرة ، ويمكن أن نجمل فيما تكلم فيه فيما يلي :

### منهجه في العقائد

يرى ابن خلدون أن أفضل طريقة في معرفة العقائد في الصفات هي طريقة المتكلمين الأشاعرة ، وأنهم هم الذين نصرروا السنة وقمعوا البدعة والفسفة بالعقائد العقلية والاستدلالات الكلامية (6).

### سبب حدوث بدعة المعتزلة في الصفات

يرى ابن خلدون في مسح عام لتاريخ هذه البدعة أنها نشأت لما تكلمت بعض الناس في العقائد والصفات وكثر التشبيه ، ولمز وغمز في منهج علماء السنة والجماعة كابن عبد البر وابن أبي زيد القيرواني في الرسالة ، وزعم أنهم مشبهة ، ولذا نشأ من يدافع عن التجسيم والتشبيه ، وألف المتكلمون في التنزيه وحدثت بدعة المعتزلة بعد ذلك ، فنفوا الصفات وقالوا بخلق القرآن (7)، ولذا نشأ من يدافع عن العقيدة بالأدلة العقلية ونفي التشبيه كما قال.

### نظرتة للصفات

يثني ابن خلدون على إمام المتكلمين أبي الحسن الأشعري في منهجه القديم قبل توبته واتباعه للسنة ، ويفهم من سياق كلامه اعتناقه وتأييده للمذهب وأنه توسط بين الطرق ، بين المشبهة والمعتزلة وأنه أثبت الصفات السبع. وأن الكلام صفة قائمة بالذات وأن إثبات العلو (الذي سماه الجهة) والاستواء والنزول والكلام بصوت ، كل هذا تجسيم وتشبيه لا ينبغي إثباته (8)

### وخلصه القول

1. انظر الصواعق المرسله 1292/4 ، درء تعارض العقل والنقل 258/6 ، بيان تلبيس الجهمية 36/2 ، 37 ، 333/2 ، اجتماع الجيوش 94/1

2. انظر بيان تلبيس الجهمية 37/2 ، 333 ، مجموع الفتاوى 3/ 261

3. انظر اجتماع الجيوش الإسلامية 166/1

4. الفتاوى الكبرى 229/2

5. هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ولي الدين الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ، ولد في أول رمضان سنة 732 اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس ، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب والتسهيل في النحو ، وتفقه بجماعة من أهل بلده وسمع الحديث هنالك وقرأ في كثير من الفنون ومهر في جميع ذلك لاسيما الأدب وفن الكتابة ثم توجه في سنة 753 إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها ثم امتحن واعتقل نحو عامين ثم ولي كتابة السر وكذا النظر في المظالم ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة 764 ، وله مصنفات عدة أشهرها التاريخ الذي ينسب إليه ، وكان ممن خالف أهل العلم في تصحيح نسب العبيديين وهذا مما يؤخذ عليه ، توفي سنة 808هـ. انظر (البدر الطالع 337/1 ت339) (شذرات الذهب 76/4 ، 77) (النجوم الزاهرة 155/13)

6. انظر مقدمة ابن خلدون ، ص 464

7. انظر المصدر السابق ، ص 464

8. المصدر السابق ص 463 - 465

أن ابن خلدون -رحمه الله- متعصب لمذهب المتكلمين معتق له ذاب عنه ، وادعى أنهم أهل الحق وأن من عداهم غير محقين في عقائدهم. كما تميز كلامه -عفا الله عنه - بلمز أهل السنة والجماعة ورميهم بالتشبيه لإثباتهم صفات الرحمن على ما يليق به ، والله المستعان.

## الفصل السابع

### ابن العربي<sup>(1)</sup> ومنهجه في الصفات

وهو من أكثر العلماء الذين تكلموا على العقائد عموماً والصفات خصوصاً ، وقد تميز في كتبه بأرائه الجريئة ومخالفته لبعض أهل العلم ، وردده على بعض من غلط في المسائل العقديّة ، كما رد على شيخه الغزالي في الربوبية وانتقد شطحاته فيها ، وانتقد أغلاطهم في إطلاقهم لفظ العشق على الله كما سيأتي.

وفي باب الصفات تعددت اجتهادات ابن العربي وتكلم عليها في كتبه ورسائله ومنها كتاب: «الأمم الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى» ذكره المقري<sup>(2)</sup>، والعواصم من القواصم وعارضة الأحوذى وغيرها. ويمكن أن نقول أن له اجتهادات وركون إلى مذهب الأشعرية في العقائد مع الاستدلال بالنصوص الشرعية قدر قربه من السنة والدليل فهو أشعري وسط ، ليس من الغلاة المتكلمين ، بل هو من القريبين من الدليل الشرعي ، وما يدل على قولنا هذا قراءتنا المستفيضة لكتبه ونصوصه التي يظهر منها ما قلنا ، فيقول مخاطباً طلابه في نص يكشف منهجه : «..وعلى كل حال فالذي أراه لكم على الإطلاق أن تقتصروا على كتب علمائنا الأشعرية ، وعلى العبارات الإسلامية ، والأدلة القرآنية»<sup>(3)</sup>

وهذا خليط بين منهج المتكلمين وقواعدهم العقلية وبين العبارات الشرعية والأدلة القرآنية.

### مناقشته لمثبتي الصفات

شن ابن العربي في العواصم من القواصم هجوماً عنيفاً على مثبتي الصفات وسماههم المشبهة والمجسمة صغار العقول ، وقد عدهم من البلايا التي وجدها في رحلته هم أهل الظاهر وأهل الباطن من الطوائف الشيعية ، وأنه شاهدتهم بمصر والشام والعراق ، وعدد جماعة من الحنابلة وسماههم ، منهم ابن الفراء وأبو الفرج الحنبلي وابن الرميلى وغيرهم ، وزعم أنهم مشبهة في إثبات النزول والاستواء وأنه يتحرك وينتقل ويجئ وأنه جالس على العرش وأن ابن الفراء الحنبلي يلتزم في صفة الباري كل شيء إلا اللحية

1- أبو بكر بن العربي : هو: الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب ، أبو بكر محمد ابن عبد الله بن العربي المعافري ، ولد سنة ثمان وستين وأربع مئة (468 هـ) ونشأ وتأدب ببلده ، وفيها قرأ القرآن والقراءات ، ودخل مع أبيه إلى الحج سنة (485 هـ) وسنه سبعة عشر عاماً ، ولقي شيوخ مصر وغيرهم ، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن.

وصف بأوصاف كثيرة تدل على علمه وفضله ووصفه ابن بشكوال بأنه «الإمام العالم الحافظ المستبخر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها» ، فقد كان فقيهاً فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس ، ولي القضاء فنفذ أحكامه والتزم الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر ، حتى أودى في ذلك بذهاب كتبه وماله.

رحل إلى الحجاز ووصل بغداد مرتين لطلب العلم ، وصحب أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم ثم ارتحل إلى الإسكندرية ، ولقي بها جماعة من العلماء ثم قفل إلى الأندلس ونقل عنه أنه قال: "كل من رحل لم يأتي بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبا الوليد الباجي" أو كلاماً هذا معناه. وممن لقيه من العلماء في رحلاته ، أبو بكر الطرطوشي إذ أخذ عنه بالشام ، أما من روى عنه فهم: جم غفير ، ومنهم القاضي عياض وأبو جعفر بن الباذش ، وطائفة ، ومنهم ابن بشكوال ، كما أخبر عن نفسه أنه لقيه وأخذ عنه الرواية ، رحم الله الجميع.

أما مصنفااته فهي كثيرة ومتداولة ، وفيها ما هو مطبوع ومحقق ومن أهمها:

كتاب أحكام القرآن في التفسير

القيس في شرح موطأ مالك بن أنس

عارضة الأحوذى في شرح الترمذي

المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد.

العواصم والقواصم ، إلى غير ذلك من المصنفات

توفي رحمه الله بالعودة المغربية: في سنة ثلاث وأربعين وخمسائة (543هـ). انظر (المغرب 1/249 ، سير أعلام النبلاء 197/20 (128). نفع الطيب ، 28/2 ، 35 ، المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا ، لأبي الحسن النباهي ، ص 138 ، تحقيق: د. مريم الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى 1415 هـ 1995 م). (الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، 855/3 ، رقم: 1305 ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى 1410 هـ 1989 م) (قضاة قرطبة (المرقبة العليا): ص 139) (أزهار الرياض في أخبار القاض عياض لأحمد بن محمد المقري ، 62/3 ، 63 )

2- انظر نفع الطيب 35/1

3- آراء ابن العربي الكلامية 158/1



والفرج ، إلى غير ذلك مما ذكره في حقهم<sup>(1)</sup>. ثم ناقشهم في بعض ذلك بما سنورده لاحقاً إن شاء الله ، والعجيب أن ابن العربي المحقق ألقى الكلام هكذا ، دون أن يذكر مرجعاً لما ذكره في حقهم !! ، ولعله سمع من يشنع عليهم من أعدائهم آنذاك ، لما كان أهل الكلام والفرق يشنعون على مثبتة الصفات.

### ابن العربي والظاهرية وابن حزم

انتقد ابن العربي مذهب الظاهرية في جميع كتبه وعالجهم بشدة وسفه أحلامهم واعتبرهم الطرف المقابل للباطنية الغلاة الذين يؤولون النصوص.

وعند ذكره لشيخهم الإمام ابن حزم وصفه بأفدح الأوصاف وشكى منه ومن اتباعه شكوى مريرة في سياق الإنكار وقال: « وكان أول بدعة لقيت في رحلتي كما قلت لكم ، القول بالباطن ، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف كان من بادية أشبيلية يعرف بابن حزم ، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب إلى داود ، ثم خلع الكل ، واستقل بنفسه ، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع ، ويحكم لنفسه ، ويشرع ، وينسب إلى دين الله ما ليس فيه ، ويقول على العلماء ما لم يقولوا ، تنفيراً للقلوب عنهم وتشنيعاً عليهم »<sup>(2)</sup> ، وذكر أنه كان يتضحك مع أصحابه على بعض الناس الذين ناظروهم من صغار الطلبة وأنه عضدته الرياسة وقوة حافظته الأدبية واتهمه بالبدعة والشرك والتجسيم ، وذكر تجربته المريرة معهم بعد رحلته من المشرق: « وفي حين عودتي من الرحلة ، ألفت حضرتي منهم طافحة ، ونار ضلالهم لافحة ، ففاسيتهم مع غير أقران ، وفي عدم أنصار ، إلى حساد يطأون عقبي ، فيدوسون ذيلي ، فإذا دنوا عدموا جانبي ، فتارة تذهب لهم نفس وأخرى تنكسر لهم ضرس ، وأنا ما بين إعراض وتشغيب بهم»<sup>(3)</sup>

ثم وجه أتباعه وطلابه إلى منهجية علمية في مقارعتهم لابن حزم والظاهرية قائلاً: «أوصيكم بوصيتين : أحدهما : ألا تستدلوا عليهم ، والثانية: أن تطالبوهم بالدليل ، فإن المبتدع إذا استدلت عليه شغب عليك ، وإذا دعوته إلى الاستدلال لم يجد إليه سبيلاً»<sup>(4)</sup>

### ضوابط الصفات عند ابن العربي

لاشك أن ابن العربي أولى هذا المعتقد اهتمامه في كتبه ، وغالباً ما يشير إلى عقيدته في الصفات ويتحمس في الدفاع عنها ، وله في هذا الشأن كتاب سماه: (الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا)<sup>(5)</sup>، وله كتاب: (سراج المريدين)<sup>(6)</sup>، وتكلم فيه على الأسماء والصفات ، وله كتب عقديّة أخرى ليس هذا مجال سردها.

وأما ضابط عقيدته في الصفات والمأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيقول بعد تأويل عديد من الصفات الثابتة: «والأحاديث الصحيحة في هذا الباب على ثلاث مراتب ، المرتبة الأولى: ما ورد من الألفاظ كمال محض ليس للآفات والنقائص فيه حظ ، فهذا يجب اعتقاده ، الثانية: ما ورد وهو نقص محض ، فهذا ليس فيه نصيب فلا يضاف إليه إلا وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة كقوله : ( عبيد مرضت فلم تعدني) وما أشبهه.

الثالثة: ما يكون كمالاً ، ولكنه يوهم تشبيهاً. فأما الذي ورد كمالاً محضاً كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، والإحاطة والتقدير والتدبير ، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ، ولا توقف»<sup>(7)</sup> ثم ذكر تحت النوع الثالث بعض المتبادر أنها نقائص محضة كقوله: « جعت فلم تطعمني ، وعطشت..»<sup>(8)</sup>

وقوله تعالى: « من ذا الذي يقرض الله..»<sup>(9)</sup>. ولكنه أدخل في هذا الباب كل صفة فعل كما سيتبين لنا ، وكما أشار إلى إثباته صفات الذات التي يثبتها المتكلمون وهي الحياة والإرادة والعلم والسمع والبصير.. الخ.

3. انظر العواصم من القواصم 2281/2-286

2. المصدر السابق 236 /2

3. المصدر نفسه 237/2 وانظر كذلك 363/2

4. المصدر نفسه 238/2 ، 239

5. انظر آراء ابن العربي الكلامية 74/1

6. انظر المصدر السابق 75/1

7. العواصم من القواصم 307/2

8. رواه مسلم 1990/4 ، رقم: 2569 ، فضل عيادة المريض ، وابن حبان في صحيحه ، 224/3 رقم: 944

9. سورة البقرة الآية ( 240 )

وبناء على ما سبق فالقاعدة عند ابن العربي إثبات السبع صفات أو أكثر قليلاً ، وتأويل الباقية لاسيما صفات الأفعال ، وسنضرب لذلك بعض الأمثلة لنظرة في الصفات:

### صفة العلم

وهي من الصفات الذاتية للباري تعالى ويثبتها ابن العربي ويذكر حادثة طريفة في إثباتها في بلاد الشام ، ومناظرته لأمير شيعي سأله وقال له : هل الله عالم بعلم ؟ فقوي قلبه على الرد ، وذكر كلاماً جيداً<sup>(1)</sup>. كما أثبتنا في موضع آخر لما جادل الفلاسفة وانتقدهم وانتقد بعض العلماء الأشعرية لاستخدامهم ألفاظاً مولدة مبتدعة من علم الكلام «وخاض فيها علمائنا معهم» ، وأضاف معاتباً : «ونحن إذا تكلمنا على ذلك قلنا: دعونا من العبارات المحدثّة الفاسدة ، والباري تعالى عالم بعلم لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء..»<sup>(2)</sup>. وهذا ما يدل على تجافيه عن الفلسفة وعلم الكلام ومحاولة القرب من الدليل الشرعي.

### صفة الرؤية

يذكر ابن العربي أنه جادل المعتزلة وغيرها من الفرق لما مر بعسقلان من بلاد الشام، وجادلهم أن الله يرى في الآخرة لكن في غير جهة ، وذكر نوعاً من المناظرة التي جرت بينهم ، وقد سأله هل تكفروننا -يعني الأشعرية- لإثباتنا الرؤية في غير ما جهة ؟ فأجابوه بأن لا . لأنكم تقولون ما لا يعقل ، ومن قال ما لا يعقل لا يكفر؟<sup>(3)</sup> فبما عجباً لهذا القول منهم ومن خصومهم. كما ناظر ابن العربي أبا الوفاء ابن عقيل الحنبلي المعتزلي في مسألة رؤية الباري تعالى ، وأكد فيها ما ذكرناه آنفاً أو شيئاً منه ، وفي إيرادها عبرة علمية ، وقد ذكرها المقرئ في نوح الطيب ، قال: «ومن فوائد ابن العربي رحمه الله تعالى أنه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور ابن جهير على رتبة بينهاها في كتاب الرحلة للترغيب في الملة فقرأ القارئ: «تحيتهم يوم يلقونه سلام»<sup>(4)</sup> وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء علي بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلي الأصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة ، فإن العرب لا تقول لقيت فلاناً إلا إذا رآته، فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعاً إلينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد قال الله تعالى: «فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه»<sup>(5)</sup> وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، فيحتمل ضمير يلقونه أن يعود إلى ضمير الفاعل في أعقبهم المقدر بقولنا هو ، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء انتهى»<sup>(6)</sup> قلت: وهذه العقيدة الفريدة في رؤية الرب في الجنة لا يحتج لها بالقواعد اللغوية ولا غيرها ، فهي قد تحتمل احتمالات تخرجها عن حقيقتها ، وإنما يستدل لها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ولعل الصواب ما ذكره من أن الضمير يعود على النفاق العملي والاعتقادي الذي يلقونه أمامهم يوم القيامة ، والله أعلم.

### صفات الأفعال: الاستواء، النزول ، المجيء ، العلو

بناء على القواعد التي قدمها الإمام ابن العربي في صفات رب السموات في أنه يثبت صفات الذات أو صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، ويثبت جزئياً صفات كالعلم والرؤية ونحوها. أما صفات الأفعال كالاستواء و المجيء والنزول ونحوها ، فالأصل عنده أنها لا تكون إلا لجسم ، ويجب أن تؤول بصفات أخرى ، أو هي آثار فعل الله في خلقه ، وأن من أثبتها فهو ضال مجسم مشبه.

1. انظر العواصم من القواصم 74/2 - 77

2. المصدر السابق 142/2

3. انظر العواصم من القواصم 44-42/2

4. سورة الأحزاب الآية(44)

5. سورة التوبة الآية( 77 )

6. نوح الطيب 39/2 ، 40

وقد تكلم على قاعدته هذه في كتبه ومنها عارضة الأحوذى ، لما شرح الاستواء ، قال بعد شرح طويل: « وههنا نكته: وهي أن أفعالك أيها العبد إنما هي في ذاتك ، وأفعال الله سبحانه تكون في ذاته ولا ترجع إليه ، وإنما تكون في مخلوقاته ، فإذا سمعت الله يقول كذا ، فمعناه في المخلوقات لا في الذات...»<sup>(1)</sup>، وهذا تحكم بلا دليل غير شبهات أهل الكلام.

### صفاتا الرحمة والغضب

يرى أن الرحمة هي إرادة الإنعام في شرحه لحديث: « خلق الله مئة رحمة فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون»<sup>(2)</sup> وكذلك الغضب بإرادة الانتقام واستدل بحديث: « إن رحمتي تغلب غضبي »<sup>(3)</sup> وأن الغلبة والسبق لا يكون شيء منها في الصفات إنما يكون في المخلوقات»<sup>(4)</sup> وهذا من أعجب ما يكون إذ أثبت أثر الفعل ونفى صفة المؤثر الفاعل الذي قام بالفعل.

### صفة المحبة

أثبت ابن العربي هذه الصفة الكريمة وانتقد بدع الصوفية وغلوه فيها ، وقد نقل عن المقرئ في سياق الكلام على بعض الصفات والعقائد قال:  
«.. ومنه ابن العربي للصوفية في إطلاق لفظ العشق على الحق ، تجاوز عظيم واعتداء كبير ، ولولا إطلاقه للمحبة ما أطلقناها فكيف أن نتعدها»<sup>(5)</sup>

### نظرة في منهجية ابن العربي

ابن العربي أشعري الأصول كما قال عن نفسه ، وينطلق في إثبات الصفات من هذا الباب فيؤولها على مذهبهم ، ولكنه ينتقدهم لإفراطهم في استخدام الألفاظ المبتدعة ، ويثبت بعض الصفات الأخرى غير السبع ، وينطلق في إثباتها من خلال الدليل لا القواعد العقلية التي اتفق عليها أهل الكلام.  
ويوضح ابن تيمية منهج هذا العالم الجليل ، وأنه مزج بين العقلية التي أخطأ في بعضها وبين منهج السلف الصالح وعلم الحديث : « الثاني من يسلك في العقلية مسلك الاجتهاد ويغلط فيها كما غلط غيره فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة مع أنه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما وهذه حال أبي محمد بن حزم وأبي الوليد الباجي والقاضي أبي بكر بن العربي وأمثالهم»<sup>(6)</sup>  
ويبين ابن ناصر أنه من أكابر محدثي عصره يرحمه الله مع عنايته بهذا العلم الشريف ، قال: « ثم من كان من نقاد المحدثين بعد الخمسمائة وأربعين كأبي الفضل محمد بن ناصر والسلفي أحمد بن محمد بن أبي طاهر والقاضي عياض ويوسف بن الدباغ أبي الوليد وأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المفيد»<sup>(7)</sup>  
وكما قدمنا أنفا فإن ابن العربي لا يقف على أعتاب تقليد العلماء ، فهو الناقد البصير الذي لا يعتنق شيئاً إلا بعد تمحيصه والنظر فيه ، لما انتقد شيخه الغزالي. ويقول ابن تيمية موضحاً بعض مواقفه: «..الفلاسفة ولهذا كانوا يقولون أبو حامد أمرضه الشفاء وأنشد فيه ابن العربي الأبيات المعروفة عنه حيث قال:

برننا إلى الله من معشر بهم مرض من كتاب الشفا  
وكم قلت يا قوم أنتم على شفا جرف من كتاب الشفا

1. عارضة الأحوذى 444/1 لأبي بكر بن العربي ، دار الفكر 1415هـ - 1995م انظر كذلك 58/7 - 75 في كلام طويل عن الأسماء والصفات ، وكذلك العواصم من القواصم 289/2 - 291 - 304  
2. رواه أحمد في المسند 312/4 ، رقم: 439/5 ، رقم: 23771 ، والحاكم في المستدرک 124/1 ، 187.  
3. رواه ابن حبان 12/4 ، رقم: 6143 ، ذكر الإخبار عما كان عليه العرش...  
4. انظر عارضة الأحوذى 275 /7 ، 276 ،  
5. نفح الطيب 300/5  
6. درء تعارض العقل والنقل 33/7 - 34  
7. الرد الوافر 17/1

فلما استهانوا بتنبهنا  
فماتوا على دين رسطاليس  
فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته

رجعنا إلى الله حتى كفى  
وعشنا على ملة المصطفى « (1)

## خاتمة

### وننتج هذا البحث

إن الناظر في مناهج علماء الأندلس بعد التدقيق والتمحيص يخرج بنتائج وفيرة عن ذلك العصر ، وعن علماء ذلك العصر ، ومن أهم ذلك:

- (1) أن علماء الأندلس يستدلون-في جملتهم- على العقائد بالكتاب والسنة ، ويميلون إليها ميلاً كبيراً ، ويدعون أنهم يستمسكون بهما ولا يحررون عنهما.
- (2) أن علماء الأندلس تأثروا بإخوانهم علماء المشرق في جميع مناهجهم وعقائدهم وطرق استدلالهم.
- (3) أن علماء الأندلس –غالباً- لا يميلون إلى الفلسفة وعلم الكلام بل يقربون ويميلون للدليل الشرعي ، وقد يخطئ بعضهم أحياناً.
- (4) أن علماء الأندلس –في جملتهم- يثبتون الصفات ويتأولون بعضها ، ولا يثبتون سبباً منها فقط على الطريقة الكلامية.
- (5) أن في بعض علماء الأندلس شيء من الاضطراب في الإثبات والنفي في الصفات كإبن حزم وإبن رشد وغيرهم ، فتارة يثبتون وتارة ينفون.
- (6) أن في علماء الأندلس من سلك مسلك السلف الصالح في إثبات الأسماء والصفات ، فأثبتها وأمرها كما جاءت من غير تكليف ولا تعطيل ولا تشبيه.
- (7) أن في علماء الأندلس من سلك مسلك المتأولين لصفات أفعال الله والمثبتين لكثير من صفات ذاته ، كأبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي وإبن خلدون وغيرهم.
- (8) أن كبار علماء الأندلس كابن عطية وإبن عبد البر وغيرهم ، كانوا يفرقون في باب العقائد بين أهل السنة والجماعة والأشعرية.
- (9) أن علماء الأندلس تصدوا للفلسفة والمتكلمين لتبيان العقائد الصحيحة ، وتبرؤوا منهم ومن منهجهم.

### المراجع والتوثيق

- (1) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ،
- (2) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، حسين الأسد ، مكتبة الرسالة ، ط. الأولى 1401 هـ -1981 م
- (3) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية.
- (4) تحقيق: محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (5) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ، لابن الأبار ،
- (6) تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، ط. الأولى 1410 هـ -1989 م
- (7) نفح الطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ،
- (8) تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر (بيروت) ، طبعة جديدة 1997 ، وقديمة ، 1968
- (9) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، لأحمد بن حيان الضبي ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط. الثانية 1410 هـ -1989 م).
- (10) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، أبو العباس أحمد بن خلكان تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية ، وتحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، دار الثقافة (بيروت) (1968 )

- (11) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة، 1406 هـ - 1986 موهي في مخطوط بمكتبة الأسكوريال، رقم: 538
- (12) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- (13) الرد الوافر، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، ت: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، ط. الأولى 1393 هـ.
- (14) الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط. الثانية 1393 هـ، 1973،
- (15) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي
- (16) تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف بالمغرب، ط. الثانية 1395 - 1975 (
- (17) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ت: محمد حسنين مخلوف، دار المعرفة (بيروت) 1386 هـ.
- (18) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر
- (19) الحميدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثالثة 1410 هـ - 1989 م
- (20) ابن حزم حياته وعصره وآراءه وفقهه، للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربي
- (21) الفصل في الملل والنحل، لأبي محمد علي بن حزم،
- (22) تحقيق: د. محمد نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، دار القلم
- (23) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير (بيروت) 1407 هـ - 1987 م
- (24) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري
- (25) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت) 1374 هـ - 1954 م
- (26) المحلى لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي دار الفكر (بيروت)، تحقيق: أحمد شاكر (القاهرة)، إدارة الطباعة المنيرية 1348 هـ
- (27) المسند للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة بمصر (عن النسخة الميمنية)
- (28) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام محمد بن حبان التميمي،
- (29) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1414 هـ - 199 م
- (30) المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، ت: كمال الحوت، مكتبة الرشد (الرياض) ط. الأولى 1409 هـ
- (31) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، ت: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط. 1404 هـ
- (32) المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، 1411 هـ (بيروت)
- (33) الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت)
- (34) السنن، سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر
- (35) شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى تحقيق: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة 1406 هـ
- (36) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي علي بن علي، تحقيق: د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية 1413 هـ - 1993 م
- (37) منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، لابن تيمية،
- (38) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط. الأولى 1406 هـ
- (39) سؤال عن يقول إن صفات (جامع الرسائل)، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، (مصر)
- (40) العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: إبراهيم سعدي، مكتبة الرشد، الرياض 1415 هـ
- (41) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للشيخ محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر (بيروت)
- (42) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكتي، نشر عبد الحميد الهرامة، ط. الأولى، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا 1989 م. وط. الأولى 1329 هـ مطبعة السعادة (بمصر).
- (43) الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطي، مكتبة الرياض الحديثة، تحقيق: محمد رشيد رضا

- (44) الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ت : عبد الله دراز ، محمد عبدالله دراز
- (45) فتاوى الإمام الشاطبي ، ت : محمد أبو الأجنان ، الطبعة الثانية 1405 هـ - 1986 م
- (46) طبقات المفسرين ، للحافظ سمش الدين محمد بن علي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة (مصر) ، ط. الأولى 1392 هـ 1972 م
- (47) طبقات المفسرين ، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة (القاهرة) ط. الأولى 1396 هـ
- (48) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي ، دار الكتب العلمية (بيروت) 1413 هـ (1992 م)
- (49) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، مؤسسة العرفان (بيروت)
- (50) التذكار في أفضل الأذكار ، للإمام ابن فرح القرطبي ، تحقيق: بشير محمد عيون ، ط، الثالثة (بيروت) 1407 هـ 1987 م دار البيان ، دار المؤيد
- (51) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم تحقيق: د. حمدي السلفي ، مكتبة دار العلوم والحكم (الموصل) 140 هـ
- (52) السنة ، لعبد الله بن الإمام أحمد ، ت: محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم (الدمام) ط. الأولى ، 1406 هـ
- (53) الصواعق المرسله ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت: علي الدخيل الله ، دار العاصمة 1418 هـ ، ط. الثالثة.
- (54) بيان تلبيس الجهمية ، ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة (مكة) 1392 هـ ، ط. الأولى
- (55) اجتماع الجيوش ، للإمام ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، ط. الأولى 1404 هـ
- (56) البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة (بيروت)
- (57) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد دمشقي ، دار الكتب العلمية (بيروت)
- (58) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي ،
- (59) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (مصر).
- (60) مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، دار القلم (بيروت) ط. الخامسة ، 1984 م
- (61) المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق: شوقي ضيف ، (القاهرة) ط. الثانية ، 1964 م ، دار المعارف مصر
- (62) المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا ، لأبي الحسن النباهي ، تحقيق: د. مريم
- (63) الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى 1415 هـ 1995 م )
- (64) الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، تحقيق: إبراهيم الأبياري
- (65) ، دار الكتاب المصري ، ( القاهرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى 1410 هـ 1989 م
- (66) المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا ، لأبي الحسن النباهي ،
- (67) تحقيق: د. مريم الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى 1415 هـ 1995 م
- (68) آراء ابن العربي الكلامية ، (العواصم من القواصم ) ، ت: عمار طالبي ، طبعة الجزائر.
- (69) عارضة الأحودي ، لأبي بكر بن العربي ، دار الفكر 1415 هـ - 1995 م
- (70) الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المعرفة (بيروت)
- (71) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن فرحون ،
- (72) تحقيق: د. محمد الأحمد ، أبو النور دار الكتب العلمية (بيروت) ، وطبعة مكتبة دار التراث (القاهرة)
- (73) البلغة في تراجم أئمة اللغة ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق: محمد
- (74) المصري ، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت) ط. الأولى 1407 هـ
- (75) الصفدية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : محمد رشاد سالم ، ط. الثانية 1406 هـ
- (76) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري د. عبد الحليم عويس ، دار الاعتصام
- (77) النخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن بن بسام الشنتريني ، دار الثقافة (بيروت) ، 1399 هـ 1978 )

- (78) الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، ( القاهرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى 1410 هـ-1989 م
- (79) أبجد العوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن القنوجي ، تحقيق: عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية (بيروت)
- (80) طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية، 1403 هـ (بيروت)
- (81) التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد ، يوسف بن عبد البر النمري ، ت: مصطفى
- (82) البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب) 1387 هـ
- (83) السنة، لابن أبي عاصم الشيباني، ت:محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي (بيروت) ط. الأولى 1400 هـ
- (84) سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، ت: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب) 1406 هـ
- (85) الصفات للدارقطني ، على بن عمر الدارقطني ، ت: عبد الله الغنيمان ، كتبة الدار ط. الأولى ( المدينة المنورة)
- (86) 1402 هـ
- (87) السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز (مكة) 141 هـ-1994 م
- (88) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي ، دار الكتب العلمية (بيروت) 1413 هـ-1992 م
- (89) العبر في خبر من غير ، محمد أحمد الذهبي ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت ، ط. الثانية 1948 م
- (90) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ الحكمي
- (91) ت: عمر أبو عمر ، دار ابن القيم (الدمام) ط. الأولى 1410 هـ
- (92) عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان ، سليمان بن صالح الغصن ، دار العاصمة (الرياض) ط. الأولى
- (93) المنتقى شرح الموطأ ، لأبي الوليد الباجي ، دار الكتاب العربي ، ط. الأولى 1



*International Academic Journal for Islamic Studies*

المجلة الأكاديمية العالمية للشريعة الإسلامية وعلومها

Website: <http://iajour.com/index.php/is>

ISSN: 2708- 5961



## Methods of Andalusian scholars in beliefs (Unification of names and attributes)

Dr. Khalid bin Nasser Al Hussein

Associate Professor, Department of Contemporary Doctrine and Doctrines, College of Fundamentals of Religion,  
Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh  
[knalhosin@imamu.edu.sa](mailto:knalhosin@imamu.edu.sa)

Submission date: 9/1/2024

Publishing date:24/4/2024

**Abstract:** There is no doubt that the Andalusians excelled in various types of sciences, and were influenced to a great extent by the people of the East, from the Hijazis, the Levants, the Iraqis, and others, in all types of arts. You will find among them those who imitate the jurists in their jurisprudence, those who imitate the poets in their poetry, the hadith scholars in their hadith, the Ash'arites in their Ash'arism, and the Mu'tazilites in their Mu'tazilites. Etc., as if you are facing a duplicate image of the Levant in many aspects.

This research into Andalusian beliefs is only part of a series in this section that will come successively and be published with God's will and power. I wanted to put it in the section on names and attributes, and I cited and traced their opinions and drew conclusions through numerous looks at the methodology of each of them, may God have mercy on them.

**Keywords:** *Andalusian scholars, methods of Andalusian scholars, beliefs in Andalusia, theology*